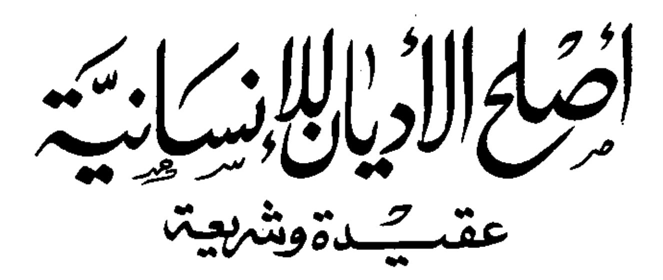
دعوة الحق



بقلم الأستاذ
أحمد عبد الغفور عطار

السنة السادسة - العدد ٦٦
رمضان ١٤٠٧هـ - مايو ١٩٨٧م




بسم الله الرحمن الرحيم



تعريف

بقلم المشرف

الكاتب الكبير الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار ـ فى الحقيقة والواقع غنى عن التعريف ، فأدبه وعلمه وفكره وثقافته الواسعة ملء السمع والبصر والفؤاد على مستوى العالم العربى والاسلامى ، وليس السعودى وحده ..

إن مؤلفاته التاريخية واللغوية والدينية حديث المثقفين ، ومطلب أبحاثهم ودراستهم ، ومبعث نقاشهم وجدلهم ..

وأعظم ما يحمد للأستاذ الجليل أحمد عبدالغفور عطار حميته وانبعاثه للدفاع عن الاسلام ولغته ، والرد على الأعداء فى جانب ، وعلى الجهلاء بالحقيقة فى جانب آخر ..

وقد كان الأستاذ العطار محل تقدير المسؤولين عن جائزة الدولة السعودية للأدباء .. فرشح لنيلها وفاز بها سنة ١٤٠٦ ـ وكان من كرم نفسه وسخاء ضميره ، واثر إيمانه : أن جاد بالقيمة المادية من هذه الجائزة لمجاهدى افغانستان .. فكان مثلاً رائعاً ، وقدوة حسنة للآخرين ، وتذكرة للغافلين بحق الشعب الأفغانى الصابر المجاهد الذى يقاوم أظلم دولة ملحدة فى العالم ، معادية للإسلام ومحاربة للمسلمين ـ بحق هذا الشعب البطل فى أعناق كافة المسلمين فى شرق الدنيا وغربها ، وبخاصة الأدباء والعلماء والمثقفين .

وهذا الكتاب عن الاسلام بوصفه أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة .. صفحة من صفحات الأستاذ العطار .. صفحات جهاده الفكرى ـ والعلمى ـ جزاه الله خيراً ، وأمد فى عمره ، وسدد خطاه ..

أحمد محمد جمال

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

سورة البقرة الآية ١٣٦



تمهيد

أوجزت فى هذا الكتيِّب ذكر ديانات العالم قديما وحديثا ، وقد كنت منصفا فى بحث كل دين ، وإعطاء صورته الصحيحة ، ولم أبخسه حقه ، بل ذكرت كل دين على حقيقته دون إخسارٍ أو تطفيف ، لنختار من كل هذه الديانات الدين الذى يصلح للإنسانية عقيدة وشريعة .

ويدخل فى الشريعة نظام الحياة الشامل للتربية والسلوك والاجتماع والتعليم والأخلاق والآداب والفنون والتجارة والسياسة والاقتصاد والحكم ، والحضارة بصفة عامة .

وبعد دراسة الأديان دراسة واعية دونتها فى أربعة مجلدات طبعت منذ بضع سنين ، وصدرت تحت عنوان « الديانات والعقائد فى مختلف العصور »[1] .

ولما أردت الكتابة فى « أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة » لم يكن اختيار الدين الصالح عسيرا على ، لأن دراسة الأديان بتجرد وإنصاف انتهت بى إلى الاختيار الذى رضيت عنه أتم الرضا .

وكان الدين المختار من بين كل هذا الحشد من الأديان هو الدين

---

(١) طبع دار الأندلس . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ (١٩٨١م) .

الذى ارتضاه الله لعباده ، لأنه علم أنه أصلح الأديان طرا للبشرية كلها عقيدة وشريعة ، ذلك هو دين الإسلام ، إذ ما ثم دين يهدى إلى الخير والبر وإلى صراط مستقيم سواه ، وما ثم كتاب يهدى للتى هى أقوم غير كتاب الإسلام : القرآن الكريم ، وما ثم نبى هدى ورسول رحمة للإنسانية كلها فى جميع العصور أعظم من رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، وبذلك اجتمع للإسلام كل ما تفرق فى أديان السماء الصحيحة وأربى عليها بما أودع فيه من خصائص ومزايا ومكارم تفرد بها حتى كان خاتم الأديان .

وما اصطفى الله خالق الكون هذا الدين إلا وهو يعلم أنه هو وحده أصلح الأديان فادخره لأكرم رسول جعل رسالته رحمة للعالمين . وهدى للناس أجمعين .

ومنذ خلق الله البشر أخذ يوالى بعث رسله إليهم مبشرين ومنذرين ، وكان من فضل الله أن أنعم على الإنسان بالعقل الذى أخذ على مر الحقب يزداد تجربة وإدراكا وعلما ووَعْيا وفقها حتى بلغ أشده من وفرة الرسل والرسالات ، وبدأ بالنسبة للعقل بعد بلوغه عصر جديد أَهَلَّ على البشرية .

وأصبح العقل قادرا قدرة جعلته فى غنى عن المعجزات التى أجريت على أيدى الرسل الذين سبقوا محمدا صلى الله عليهم جميعا ، ولهذا لما طلب الناس من رسول الإسلام معجزات كالمعجزات السابقة لم يستجب لتحديهم وطلبهم رحمة بهم .

وقد علمنا من تاريخ الرسل وأقوامهم أن من تحدوا الرسل لم تحملهم المعجزة على الإيمان ، بل لجوا بعدها فى الكفر والبغى

والطغيان ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

ولو قبل رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام تحدى أهل مكة من المشركين فأجريت المعجزة على يديه ، فإن من المقرر ألا يؤمنوا به ، وحينئذ يستوجبون العذاب جزاء وفاقا على الاستمرار فى الكفران .

وقد رأينا سنة الله فى الذين يتحدون الرسل ويطلبون منهم المعجزات ثم لا يؤمنون أن يصيبهم عذاب يمحوهم ويمحقهم محقا .

ورسول الإسلام للناس كافة ، وهدى ورحمة للعالمين ، ومادام هو نفسه رحمة لا يمكن أن يتحول إلى نقيضها فأبى أن يستجيب حرصا منه على قومه وبلده الذى هو بلد الله ، وفيه بيته الحرام ، لأن اللعنة التى تحل تمحق الناس وأرضهم .

لهذا أبى رسول الإسلام الاستجابة للمعجزات المادية ، ورضى بمعجزة كتاب الله الذى لا يمكن للبشر جميعا أن يأتوا بمثله ، لأن معجزات الرسل السابقين كانت « موقوتة » بأجل لا تتجاوزه ، ومحمد رسول الدهر كله ، فلابد أن تكون المعجزة كفاء الرسالة الخالدة ، فكانت القرآن الكريم الذى يجد فيه العقل مأمله . والقلب أمنه .

ومعجزات الرسل السابقين لم تعد معجزات فى عصر العقل والعلم ، لأننا رأينا خوارقها المذهلة ، وبقيت معجزة القرآن كما هى ، يستحيل على البشر الإتيان بمثله ، وبعد ذلك أو معه يقترن إعجاز آخر متجدد ، ألا وهو ضوء الرشد المنبعث من القرآن على الدوام .

فرسول الإسلام والدين الذى جاء به ودعا إليه والكتاب الذى أنزل عليه من ربه لكل زمان ولكل مكان ، فالله واحد أحد لا شريك له ، وحى دائم ، ورب العالمين ، ومحمد عبده ورسوله إلى الناس كافة منذ مبعثه إلى يوم يبعثون ، والإسلام خاتم الأديان ، ودين الزمان كله ، والقرآن الكريم كلامُ الله الأزليُّ الخالد .

ولهذا ليس ثمت دين يصلح للإنسانية عقيدة وشريعة غير الإسلام دين الإنسانية الخالد بحق .

الإثنين : ٦ رمضان ١٤٠٧هـ
٤ مايو/ايار ١٩٨٧م

أحمد عبد الغفور عطار
مكة المكرمة

المقـدمـة

يصدر هذا الكتاب بفضل الله جلّ جلاله ، ثم بفضل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، فقد دعا حضرة صاحب المعالى العلاّمة البحّاثة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى مدير الجامعة حشدًا من الكتّاب المسلمين بينهم كاتب هذه السطور إلى المشاركة فى المؤتمر الإسلامى للقرن الخامس عشر من هجرة نبى الهدى والرحمة محمد عليه الصلاة والسلام .

وقد أعدَّت الجامعة عناوين بحوث يختار الكاتب منها عنوان البحث الذى يريد المشاركة به فى المؤتمر ، واخترت الكتابة فى بحث « انحسار تطبيق الشريعة فى أقطار العروبة والإسلام »[1] .

وكان مدير الجامعة الدكتور التركى من أوائل من فكر فى عقد هذا المؤتمر سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) ووجه الدعوة إلى الكتاب فى أقطار العروبة والإسلام وفى غيرها من بلدان العالم فى سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) .

وفى سنة ١٣٩٩هـ ذكّرتْ الجامعة من استكتبتهم برسالة موجهة من قبل رئيس الهيئة العلمية للمؤتمر الدكتور عبد الله

---

(١) صدر فى سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

ابن عبد الله الزايد .

وكتبتُ البحث المراد فأوحت كتابته إلىّ أن أكتب بحثًا عنوانه « أى الأديان أصلح للبشرية عقيدة وشريعة » عرضت فيه للأديان السابقة والقائمة حتى اليوم بروح الباحث المجرد عن الهوى والمواريث ، رجاء أن أختار منها الدين الصالح .

وقد وضعت للدين المختار شرطًا وهو أن يحوى العقيدة الصحيحة السليمة ، والشريعة السمحاء الغراء ، لأن الدين الذى لا يحويهما غير صالح لأن ينتظم الإنسانية كلها فى رحابه ، بل لا يصح أن يكون حَكَمًا .

وعلى هذا الشرط عرضت للديانات فإذا الدين الوحيد الفذُّ الذى فاز من بينها دين الإسلام وحده دون غيره ، وقد اتفق معى فى هذا الحكم أئمة الباحثين فى العالم فى هذا العصر ، وأكثرهم من أقطاب المسيحية فى مختلف الآداب والعلوم والفنون والفلسفات .

ولم يصدر منى هذا الحكم للإسلام لأنه دينى ، بل حكمتُ له بعد دراسة مقارنة للأديان ، لأننى وجدته الدين الوحيد الصالح لأن يكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة ، ولأنه الدين الفريد بين كل الأديان الذى كملت عقيدته وتّمتْ شريعته بحيث يصلح لكل مجتمع فى أى زمن وكل زمن .

واستجابتى لدعوة مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية آتية من دعوتى إلى هذا المؤتمر نفسه ، فقد دعت حكومة باكستان فى سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) إلى عقد مؤتمر إسلامى عالمى للسيرة النبوية فى بلادها ، ووجهت الدعوة إلى رابطة العالم الإسلامى

للمشاركة فيه ، واختارتنى بين أعضائها لتمثيلها فيه ، فأعددت ثلاثة بحوث شاركت بها فى المؤتمر .

وافتتح المؤتمر فى يوم الأربعاء الثالث[1] من شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٦هـ إلى يوم الاثنين ١٥ ربيع الأول ١٣٩٦هـ (٣ ـ ١٥ مارس/آذار ١٩٧٦م) حيث قدمتُ للسيد كوثر نيازى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية حينئذ ورئيس المؤتمر ثلاثة بحوث منها بحث بعنوان « التقويم الهجرى » .

وفى حفل المؤتمر الختامى بكراتشى بعد عصر يوم الأحد ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٩٦هـ (١٤ مارس ١٩٧٦م) ألقى الشيخ عبد الله المفرج وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت كلمة ارتجلها ودعا فيها إلى الاحتفال بسنة ١٤٠١هـ .

وعارض أحد الأعضاء الدعوة ، فطلبتُ القول ، وأيدت دعوة الشيخ المفرج ، ولعله أول من دعا إلى الاحتفال بسنة ١٤٠١هـ وتأييدى إياه ، وكنت ثانى من دعا إليه .

ولما كانت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ممثلة فى مديرها عبد الله التركى ـ سباقة إلى الدعوة إلى مثل هذا المؤتمر فإننى قد رجوت من الجامعة ومن مدير الجامعة الدكتور التركى والعاملين بها وبجامعاتنا الأُخر أن يعدّوا من الآن البرامج للاحتفال العالمى بإهلال السنة الأولى بعد الأربعمئة والألف من هجرة رسول

---

(١) كان هذا اليوم غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٦هـ فى باكستان حسب تقويمها . أما فى مكة المكرمة والمملكة العربية السعودية فقد كان اليوم الثالث من ربيع الأول سنة ١٣٩٦هـ حسب تقويم أم القرى الرسمى .

الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام[1] .

وطبيعى أن تشترك حكومات العالم الإسلامى جميعها وتحشد كل إمكاناتها وطاقاتها فى الاحتفال بأول يوم من سنة ١٤٠١هـ ليكون يوم الإسلام ، وتسمى السنة نفسها سنة الإسلام العالمية الكبرى .

وقمين بالمسلم فى ذلك اليوم أن يكون كبيرًا فى خُلُقه وفضله وإنسانيته ، حتى يعطى العالم صورة صحيحة لدينه ، بل يجب أن يكون كذلك على الدوام حتى يجتذب إليه أبناء الديانات الأخرى ، عندما يرون الخلائق الإنسانية الفاضلة ممثلة فى إنسان ، لأن الناس يعجبون بها ويحبونها هى ومن يتحلى بها .

وانتشار الإسلام فى أفريقيا وفى جنوب آسيا وفى كوريا الجنوبية وغيرها كان بسبب المسلم القدوة ، وكذلك كان الأمر فى أوروبا وأمريكا .

وكما كان المسلم القدوة فى مكارم الأخلاق سببًا لاجتذاب غير المسلمين إلى دينه فإن المسلمين الذين لا يأتمرون بالمعروف ولا ينتهون عن المنكر كانوا سبب تنفير الناس عن الإسلام وكراهيتهم له ، لأنهم اعتقدوا أن المسلم صورة لدينه .

ولهؤلاء الكارهين عذر ، لأنهم لم يروا صورة الإسلام الصحيحة ، فظنوه المسلم وحكموا به على دينه .

---

(١) كان من فرض الكفاية قيام رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة بنشاط عظيم فى مختلف أقطار الأرض تعرض الإسلام عرضا صحيحا ، وقد أعطى نشاط الرابطة أمله والحمد لله (كتبت هذه التعليقة فى ١٤٠٧/٦/١هـ) .

دينه دين التقدم والعلم والصحة وهو غريق التأخر والجهل والمرض ، دينه دين الصدق والأمانة وهو يكذب ويغش ، دينه دين النظافة وهو غير نظيف ، دينه دين الكمال وهو ناقص ، دينه دين الحضارة الخيِّرة وهو غير متحضر.

ولو كان المسلمون مسلمين حقًا لحببوا الناس فى دينهم وأنفسهم ، ولاجتذبوهم بما فى الإسلام من الخير والخلائق الإنسانية الفاضلة ، ولكن انصراف المسلمين عن دينهم صرف غيرهم عنه .

ولما كان السلف الصالح من المسلمين متمسكًا بدينه ، وكان الصورة المثلى له دفع غير المسلمين إلى الإسلام .

ولعل اتفاق المسلمين فى العالم كله على الاحتفال بإهلال سنة ١٤٠١هـ بشخصية المسلم الحق يدفعهم إلى التمسك به حق التمسك ، فيكونوا على الدوام مسلمين حقًا ، وحينئذ سيفرضون على العالم احترامهم ، ويحملونه على الإيمان بدينهم الحق ، وبأنه دين الإنسانية عقيدة وشريعة .

أما التظاهر بارتداء ثوب حسن يومًا ثم خلعه فذلك نفاق يحرمه الإسلام الذى يفرض على المسلم أن يكون دائمًا رائع الحسن فى ظاهره وباطنه ليكون بذلك مسلمًا حقًا ، لأن الإسلام حسن كله ، حسن فى مظهره ومخبره ، وفريد فى كماله وجماله من أى زاوية نظرت إليه ، ومن أى جانب تناولته ، لأن الخالق جل جلاله لا يختار لعباده إلا ما هو حق وخير وجمال .

وإن قَصْر الحفاوة على يوم واحد ثم خلعها عن سائر الأيام ليس

من خلق المسلم الذى يجب أن يجعل كل أيامه سواء فى الحفاوة ، وإن كان بعض الأيام سيد بعضها مثل يوم الجمعة سيد غيره من الأيام ، ويوم عرفة سيد الأيام ، وشهر رمضان سيد الشهور ، وليلة القدر خير من ألف شهر .

يجب على المسلم أن يكون المثل الرائع للإنسان الفاضل فى كل وقت وإلا كان ناقصًا ، وإن كان الوجوب فى بعض الأوقات أعظم .

وما كان امتياز بعض الأيام على بعض إلا لأن فرص التقرب إلى الله وفرص العمل الصالح من أجل بنى الإنسان أكثر .

ويجب على المسلم الحق أن يكون فى جميع أيامه نموذج الإنسان الكبير بخلقه وفضله وكرمه ونبله وإنسانيته ، وفى الأيام الخاصة تزداد مكارمه بروزًا وسطوعًا .

فإذا كنت قد دعوتُ إلى الاحتفال بأول يوم من سنة ١٤٠١هـ فإنما دعوتُ على النحو الذى ذكرت ، حتى يكون لاحتفالنا العالمى أثر مشهود فى العالم كله ، وأن يزداد عمقًا على مر الأيام ، وأن يتجدد بما يتفق مع الإسلام ، وإلا كان الاحتفال ككل احتفال يشبه المصباح الذى يرسل أبهى أضوائه عندما يكاد ينطفىء .

نحن المسلمين نحتفل بأيام معدودات كل عام ، نحيل لياليها أنهرًا من النور والصخب والخطب والطرب ، ونجعل أنهرها موائد حافلة وأفراحًا صاخبة تنتهى بانتهاء المناسبة ، وهكذا نصنع بتلك الأيام كل عام دون تغير ما بنا إلى ما هو خير وأبقى .

ويذكرنى شهر رمضان المبارك الذى أكتب فيه هذه المقدمة

برسول الله ﷺ حيث كان يستعد لرمضان بروحه وجسده احتفالاً يتفرد به عن سائر الشهور .

إن هذه المناسبة تتيح لرسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام فرصًا لأن يضاعف فيها جهوده من أجل المزيد من العمل الذى يقربه من الله جلّ جلاله .

فإذا كان استعداد رسول الله ﷺ لشهر رمضان كله استعدادًا جدَّ عظيم فإن استعداده للعشر الأخيرة أعظم .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان[1] » .

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشدَّ المئزر[2] » .

فامتياز بعض الشهور عن بعض ؛ وبعض الأيام عن بعض . وكذلك الليالى أمر معروف فى الإسلام وفى غيره من الديانات والمذاهب الاجتماعية ، ولدى كل الحكومات والشعوب .

فلا غرابة إذا طلبنا إلى المسلمين تخصيص مطلع سنة ١٤٠١هـ بالحفاوة البالغة حتى يشهده العالم كله فيشهد حقيقة الإسلام ، ويرى صورة رسوله عليه الصلاة والسلام ويعرفها معرفة صحيحة ، وستقربه هذه المعرفة منها .

ولا شك أن هذا القرب مثمر صداقة ومودة ، وحينئذ يكون مهيئًا لقبول دعوتها ، لأن القريب أو الصديق يقبل دعوة صديقه .

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

وإذا خصصنا مطلع سنة ١٤٠١هـ بالحفاوة فإن من الفرض على المسلم ألا يخلع عن نفسه ثوبها فى غيره من الأيام ، لأن المسلم الحق طيب فى كل الأيام ، وقدوة حسنة رائعة على الدوام .

وفى عالمنا اليوم فراغ روحى وقلق نفسى لم ينج منهما قطر أو مدينة أو قرية ، وكان هذا الفراغ والقلق والتطلع إلى مخلِّص أو منقذ مما عرفه العالم قبل الإسلام ، عرفه العالم عندما انحرفت اليهودية فبعث الله عيسى عليه الصلاة والسلام ، فإذا اليهود الذين كانوا يتطلعون إلى المخلِّص وينتظرونه حتى إذا أنعم الله عليهم به جحدوا النعمة وكفروا بالمخلّص حتى تخلصوا منه .

وبعد قرون من ظهور المسيح واختفائه بعث الله محمدًا رسولاً إلى الناس كافة ، وكان اليهود ينتظرون ظهوره ، فلما أظهره الله تنكر له اليهود وأرادوا أن يفعلوا به ما فعلوه بعيسى ، ولكنهم أخفقوا ، لأن محمدًا لم يبعث كالمسيح إلى خراف بنى إسرائيل الضالة وحسب ، بل كان مبعثه إلى البشرية كلها .

وإذا كان العالم قبل الإسلام ينتظر « المخلِّص » الذى يقوده إلى الخير والإيمان والعدالة والرحمة والمحبة والسلام فإن فراغ العالم الروحى اليوم أشد ، وانتظاره للمخلِّص أعظم شوقًا ولهفة مما سبق من العصور ، لأن رسائل الشر والرذيلة والضلال كثرت وتعددت حتى شملت كل النفوس إلا من عصم الله ، وكثر دعاة الشر حتى ضاع نداء الحق فى صخب الباطل ، واختفى اللب بين جبال القشور فلا يكاد يبين .

والشىء الوحيد الذى نؤكده فى ثقة وإيمان لا مزيد عليهما أن

الدين الوحيد بين جميع الأديان القادر على تخليص البشرية مما هى فيه من الضلال والرذيلة والشر والقلق والكوارث والويلات هو الإسلام وحده دون غيره من الأديان التى ظهر إفلاسها .

الإسلام وحده هو القادر على إنقاذ البشرية كلها ، لأنه يحوى العقيدة الصحيحة التى لا تدين لغير الله بالعبادة والعبودية ، ويحوى الشريعة التى تحقق لكل من يستظل بها الأمن والسلام والمحبة والعدالة والمعاملات المبنية على أشرف الخلائق والمشاعر الإنسانية الفاضلة الطيبة .

وفى هذا الكتاب صورة الإسلام الصحيحة الحقيقة : وهى صورة آية فى الحسن والروعة والجمال ، لأن رب الإسلام ـ كما قال رسوله الكريم ـ : « **جميل يحب الجمال** » والدين الذى اختاره للبشرية كلها دين الجمال والكمال .

وصدق رب العالمين اذ قال : ﴿**اليومَ أكملتُ لكُم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورضيتُ لكم الإسلامَ دينًا**[1]﴾ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾[2] .

وما رضى الله للبشرية دينًا غير الإسلام إلا وهو يعلم أنه خير دين ، وما فى الوجود أصلح منه للبشرية عقيدة وشريعة ، ولهذا ختم الله به الأديان ، وختم برسوله محمد الرسل ، واختارهما للبشر جميعًا ، وما اختاره الله حق كله ، وخير كله ، وجمال كله .

---

(١) سورة المائدة : ٥ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .

فليستقبل العالمُ عطاءَ الله ونعمته العظمى : الإسلامَ بالحمد الذى هو أهله ، وتبارك الله أحسن الخالقين ورب العالمين .

أحمد عبد الغفور عطار

مكة المكرمة

أَصْلَحُ الأَدَيانِ للإِنسَانِيَّة
عَقِيدَةً وَشريعَةً

واقع الوجود الإنسانى يثبت أن الإسلام دين الإنسانية عقيدة وشريعة ، فمنذ ظهوره حتى اليوم وإلى قيام الساعة وهو خير دين وأكمله ، ولهذا جعله الله خاتم الأديان كما جعل الرسول الذى بعثه به خير الرسل وأفضلهم وخاتمهم ، فلا دين غير الإسلام ، ولا نبى بعد محمد عليه الصلاة والسلام .

وبراهين ذلك واضحة بشرط أن يكون العقل الذى يتسلمها عقلاً مجردًا عن الهوى ، منزهًا عن المواريث التى تؤثر فيه .

وأكتب هذا وأنا مجرد عن الهوى ، ومنزّه عن المواريث التى تؤثر فى عقلى ، وأحب أن يكون لى دين من هذه الأديان التى بين أيدينا ، على أن يكون دينًا صحيحًا يحوى العقيدة والسلوك والمعاملة ، يحوى المسجد والسوق والآداب والأخلاق الفاضلة ، ويستقبل الحياة بالتفاؤل والابتسام ، ولا يتجهم ها ولا يتشاءم ، ويسيطر على الحياة والوجود كليهما .

وبين يدىّ حشدٌ من الديانات والمذاهب الاجتماعية ، فما الدين أو المذهب الذى يختاره العقل السليم والضمير الصالح ؟ .

وطبيعى أن يكون الدين المختار حاويًا العقيدة والشريعة ، لأن

دين الإنسانية يجب أن يجتمع له ما يحتاج إليه الإنسان فى داخل نفسه وخارجها ، حتى يكون صالحًا للإنسانية كلها ، لأنه لا يصلح لها دين يغفل أحدهما ، بل لابد أن يجتمع له الدين والدنيا .

وعلى هذا نعرض للمذاهب والأديان المعروفة قديمًا والقائمة فى العالم اليوم لنختار منها الدين الصالح للإنسانية فى كل العصور القادمة .

وطبيعى ألا نعرض من المذاهب والأديان إلا ما كان متبوعًا من فريق كبير من بنى الإنسان أوكان متبوعًا فى عصر من العصور السالفة ، إذ من الجائز أن يكون فى ديانة مندثرة أو مذهب اجتماعى مبتغانا .

الشيوعية

بين أيدينا وفى عصرنا الذى نعيش فيه مذهب اجتماعى هو المذهب الماركسى أو الشيوعى الذى سيطر على شعوب كثيرة يُعَدُّ مجموع أفرادها أكثر من بليون .

فهل تصلح الشيوعية أن تكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة فى الحاضر والمستقبل ؟

الشيوعية ، آخر مذهب اجتماعى ، له حكم وسلطان ودولة عظمى ، ويدين به مئات الملايين من البشر ، وتعترف بأن مذهبها مبنى على الإلحاد والكفر وإنكار وجود الله .

وعندما تنكر الشيوعية وجود الله تعلن هذا الجحود وتفاخر به

وتحارب كل دين ومعتقد ، وتبذل النكيثة[1] فى سبيل إحلال الإلحاد محل الاعتقاد الدينى ، وتنشر الكفر والإلحاد ، وتعاقب على التدين ، وتحْرِم المتدينين من حقوقهم المدنية ، بل تحرمهم من الحقوق الطبيعية .

فهل يصلح مذهب ينكر وجود الخالق لأن يكون مذهب الإنسانية وهو خِلْو من العقيدة الدينية ؟ طبيعى أن يكون الجواب : لا يصلح ، لأنه خلو من الروح كله .

إن الدين أو المذهب الذى يصلح للإنسانية كلها يجب أن يحوى الشريعة والعقيدة معًا ، ويجب أن تكون العقيدة صحيحة وسليمة ، والشريعة خيِّرة وصالحة ، وقد جاهرت الشيوعية بالكفر والإلحاد والدعوة إليهما ونشرهما ، ومحاربة كل الأديان والمتدينين .

وأى دين أو مذهب يخلو من المعتقد الدينى لا يصلح لأن يكون للإنسانية ، بل لا يصلح للحكم والسيادة ، لأن الشيوعية فرضت نفسها بالقوة والإرهاب والحديد والنار ، وإذا انحسرت عن بلد فإنه يعود إلى طبيعته متدينًا .

وإذا تركنا العقيدة ورضينا بالشريعة من الشيوعية فهل تصلح لأن تكون شريعة متبعة للإنسانية أو لأمة أو مجتمع ؟

إن أعظم مزية للإنسان الحرية : حرية المعتقد ، وحرية الفكر والرأى والقول والحركة ، فهل نجد هذه الحريات فى كنف الشيوعية ؟ .

---

(١) النكيثة : أقصى الجهد .

يجيب الواقع وهو نفسه البرهان القاطع ، وجوابه : لا وجود لأى ضرب من هذه الحريات ، وأقرب مثال : السياحة ، فنحن نجد كل أبناء البلدان الحرة لا ينقطعون عن السفر بالملايين ، ولا نجد بينهم من الكتلة الشيوعية غير الجواسيس والموظفين .

والبلدان المقدسة كالقدس ومكة والمدينة تزدحم بقاصديهن على مدار أيام السنة من جميع أقطار العالم ، فأبناء الديانات الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام لا تنقطع سيولهم الغزيرة المتدفقة عن القدس الشريف ، وأبناء الإسلام من كل بلدان الأرض يهرعون بمئات الألوف إلى مكة المكرمة ـ حرسها الله ـ للحج والعمرة ، وإلى المدينة المنورة زادها الله شرفًا وتعظيمًا للزيارة .

وليس بين الملايين من الحجاج والعُمّار والزوار من دول الكتلة الشيوعية أحد ، مع أن القاصدين منها قبل الشيوعية كانوا بعشرات الألوف .

ولا وجود للفرد فى الشيوعية ، فهى تحتم ذوبانه فى المجموع ، ولهذا لا نجد فيها فردًا مستقلاً ولا حرًا ، فقد ذوَّبته تذويبًا .

والمذهب الذى يخلو من الروح خلوًا تامًا ، ولا إله لديه غير المادة ، وبناؤه كله قائم على أساس العنف العنيف لا يمكن أن يكون مذهبًا موصوفًا بالصحة والسلامة ، بل هو مذهب العاهات والآثام ، ومذهب كهذا لا يصلح لأن يكون مذهب الإنسانية ، لأنه خال منها ، ولأنه لا وجود لصفة إنسانية فيه .

البراهمية

إذا عدنا إلى الوراء لنختار من الأديان دينًا وجدنا فى الهند « البراهمية » . وغيرها من مئات الديانات ، وقد سبقت ديانات الديانةَ البراهمية ، مثل الفيدية التى سبقتها ديانات ، وكانت الديانات فى الهند تتعايش فيما يشبه السلام ، ومن الديانات الكبيرة فى القارة الهندية : البراهمية التى ما تزال حتى اليوم ، ولعل أتباعها يزيدون على ثلاثمائة مليون .

والبراهمية منسوبة إلى براهما ، وقد كان ـ كما تذكر البراهمية ـ عدمٌ ولا وجود ، ثم كان البدء بوجود ماء وعماء ، ثم طفت على سطح الماء بيضة ذهبية احتوت سر الوجود ، فخرج براهما من هذه البيضة ، براهما الإله الأعظم الذى خلق الكون ، وعُمْر براهما ١٥٥,٥٢٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة .

ومن معانى البراهما : الانقطاع عن الدنيا إلى العبادة والفناء فيها ، والصلاة ، وهو أحد الثالوث المقدس المكون من براهما نفسه ومن فشنو وسيفا .

وبراهما روح العالم غير المُحَسِّ به ، وخالق الكون ابتداء ، وبدأت منه الآلهة ، وإليه تعود ، لأنه مُوجدها ، والروح الإنسانية شعلة من نيرانه المقدسة ، وهو نفسه بدء الخليقة .

ونسى القائلون بذلك أن الماء سابق فى الوجود لبراهما ، كما أن البيضة الذهبية سابقة على وجوده ، أو ظاهرة على خروجه منها ، وعلى هذا نفَوْا عنه صفة القدم كما نفَوْا عنه صفة « الأول » ونفوا

عنه أيضًا صفة « الآخر » والخلود السرمدى الأبدى الذى لا نهاية له ، وزعموا أنه هو « أجنا » إلهة النار المقدسة ، لأنهم رأوه صاحب النيران المقدسة .

وفشنو ثانى الثالوث الإلهى ، وموصوف بأنه الباقى والحافظ ، ولئن كان يأتى بعد براهما فإن فشنو قد زاحمه وانتزع منه صفة الخالق بعد أن سقطت هيبته التى انتهت بانتهاء بدء الخلق الذى تمَّ على يديه ، وانتقل منه إلى فشنو « عملية » الخلق الثانى فالثالث وما بعد ، وهو حافظ الخلق ورازقه .

والإله سيفا ثالث الثالوث ، وموصوف بأنه المبيد المفنى ، وانتهى به الأمر أن صار موصوفًا بالإله العظيم .

وعندما انتقلت الديانة الهندية من الفيدية ذات الثالوث إلى البراهمية ذات الثالوث أيضًا أصبحت قائمة على المعرفة والفهم والبصيرة والإدراك والمنطق ، واقتضى هذا التطور نشوء طبقة من الفقهاء والكهان تقاسموا معرفة الأسرار وتفسير النصوص ورعاية آداب الديانة ، وطبيعى أن تكون هى وحدها الطبقة الأولى العليا ، وفى وقت متأخر عن نشوئها أطلق لفظ البراهما على كل فرد فيها .

ويوصف براهما بأنه الإله الواحد ، خالق الخلق ، ولكن هذه الوحدانية لفظ يعطل معناه وجود فشنو وسيفا ، أحدهما انتزع من براهما القدرة على الخلق الذى أعقب بدء الخليقة وهو فشنو ، والآخر سيفا موصوف بالخالق الأعظم ، وبذلك جرّد هذان الإلهان الإله الأول الأكبر من أعظم صفاته ومزاياه .

ومن عقائد البراهمية التناسخ ووحدة الوجود ، وكانت هذه

العقائد موجودة فيما سبق من الديانات مثل الفيدية ، ولهذا لا فناء للنفس أو الروح ، لأنها عندما تكون مذنبة لا تموت بموت صاحبها ، بل تنتقل من جسد إلى جسد ، وليس حتمًا انتقالها إلى جسد آدمى ، بل يجوز انتقالها إلى حيوان أو نبات ، وهذا هو عقاب المذنب ، فإذا صَفَتْ الروح سواء من أول مفارقتها صاحبها أو بعد التناسخ المتكرر تندمج فى الكل الذى لا يفنى ، وهذا هو الثواب ، وذلك لاندماجه فى « النرفانا » حيث تتساوى أرواح البشر وأرواح الآلهة لتبقى فى حالة الاندماج إلى ما لا نهاية .

وليس للنرفانا حقيقة ووجود إلا بالاسم ، فهى أقرب إلى أن تكون « لا شيء » .

هذه البراهمية من ناحية العقيدة ، ولم نُرد أن ندخل بالقارئ متيهاتها التى تنتهى بالسير إلى عالم الوهم غير المحدود .

أما الشريعة فى البراهمية فتتلخص فى كلمات ، إنها انصراف عن الواقع وعزوف عن الدنيا .

وبدأ ظهور البراهمية فى الفترة التى تقع بين القرن الثامن والقرن السادس قبل الميلاد ، وهناك ديانات سبقتها بآلاف السنين ، وأخذت الديانات البدائية تتدرج حتى انتهت إلى الفيدية فالبراهمية فغيرها ، وليس هذا بالنسبة لكل الديانات البدائية ، بل لما تطور منها ، مع بقاء كثير منها على ما كانت عليه من البدائية .

ومع أن بضع مئات الملايين فى القارة الهندية ما تزال تدين بالبراهمية فإنها لا تصلح لأن تكون ديانة الإنسانية لا من ناحية العقيدة التى تسيطر عليها الأساطير والأوهام ، ولا من ناحية الشريعة

التى تمحو فى النفس الإنسانية دوافع العمل من أجل تعمير الأرض والتمتع بطيبات الحياة ، وتدفع بها إلى الإخلاد إلى الجمود والخمول .

البراهمية لا تصلح للإنسانية شريعة ، لأن أتباعها أنفسهم قرّروا فقدان صلاحها قبل غيرهم ، فاستبدلوا بها قوانين الغرب وما وضع فقهاؤهم من قوانين .

والإنسان المتطور المتقدم حضاريًا لا تطيب له ديانة تُميت فيه دوافع العمل والكفاح ، وتجعل عالم الغيب أو الآخرة عالمًا لا وجود له إلا فى ضباب الأوهام .

وإذا كانت البراهمية غير صالحة لأن تكون دين الإنسانية شريعة وعقيدة فإن بالقارة الهندية ديانات أخرى مثل الجينية والبوذية نكتفى بهما عن سواهما ، لأنهما أكبر من غيرهما .

وخرج فى الهند نفسها ومن أهلها على الفيدية والبراهمية علماء وفقهاء كفروا بهما أشد الكفر ، ونالوهما بالنقد والتجريح ، بل اتهموا الديانتين الكبيرتين حتى بلغ بهم السخرية بالكهنة البراهميين أن شبهوهم بالكلاب ؛ يأخذ كل كلب بأسنانه ذيل أخيه فى خط طويل هاتفاً : لنأكل ولنشرب[1] .

وفى بعض الأسفار[2] إنكار لوجود الإله ، وجحود بكل ما فى الديانة البراهمية ، وإتهام لمؤلفى اليوبانيشاد بأنهم مرضى وحمقى ومهووسون .

---

(١) سفر شاندوجيا من أسفار اليوبانيشاد .

(٢) سفر سواسانفد (الفاء الأخيرة تنطق مثل حرف V الإنجليزية) .

وكان هناك فلاسفة ملحدون أعلنوا كفرهم بالديانتين ، وجاهروا بكفرهم وإلحادهم ، وسخروا بهما أشد السخرية ، كما كان هناك فلاسفة مشّاءون يتنقلون من غابة إلى غابة ، ومن بلد إلى بلد وهم يعلنون الحرب على الديانتين فى عنف وضراوة ، ووجدوا معجبين ومريدين وتلامذة وأتباعًا وقفوا معهم على نقيض التزهيد والتشاؤم ، وأخذوا بالدعوة إلى انتهاب اللذات ، وانتهاز كل فرصة تتاح فيها المتعة واللذة ، فما مضى لن يعود ، وليس هناك وحدة وجود ، بل لا وجود لبراهما نفسه .

وبلغ الإلحاد والكفر بآلهة الديانتين حدًا قصيًا من قبل هؤلاء الكافرين بها حتى قال بعضهم : لا فرق فى الحقيقة بين فشنو وأى كلب من الكلاب .

وتقوَّضت دولة الإيمان بالديانتين وآلهتها فى نفوس ملايين من المؤمنين ، وكثر عدد من كفروا بهم وبلغ الملايين ، وانتصر الملاحدة انتصارًا مؤزَّرًا فى مجال الفكر والمنطق والمادية حتى أن الديانتين اللتين جاءتا بعد الديانتين السابقتين قد خلتا من الإله ومن الطقوس الدينية التى ابتدعها الكهان .

وهاتان الديانتان الملحدتان هما الجينية والبوذية اللتان كانتا من ثمار الحرب التى شنها الملاحدة على الديانتين السابقتين .

الجينية

تنتسب الجينية إلى جينا بمعنى القهار ، وسميت الديانةُ «الجينيةَ» لأن مؤسسها الأول قهر نفسه ، فأُطْلِق عليها ذلك الاسم ، واسم

المؤسس فارذامانا Vardhamana المعروف بلقب ماهافيرا Mahavira بمعنى البطل العظيم . وهو الاسم الذى خلعه عليه أتباعه المخلصون .

وعاش ماهافيرا ما بين ٥٩٩ - ٥٢٧ قبل الميلاد ، وقيل : ما بين سنة ٩٤٥ - ٤٧٧ ق . م ، وعاش منعما مترفًا فى ثراء أبيه ومجده حتى فجع فى والديه آثرا الانتحار جوعًا ، إذ كانا ينتميان إلى عقيدة تحبب الانتحار الذى يحسب فيها نعمة لا تَعْدِلُها الحياة التى هى لعنة فى معتقدهم .

وخرج الابن حاقدًا على المجد والثراء والنعيم والمسرة إذ رأى نهاية والديه الأليمة فتنكر للحياة نفسها ، وارتدى القشف والجوع والحرمان ، وأخذ يتجول فى إقليم البنغال ينشد تطهير النفس وصفاء الروح ثلاث عشرة سنة حتى انتهى إلى قهر نوازع نفسه ، وسلطان شهواته وغرائزه .

وأعجب به الناس ، ورأوْا « جينا » أى القهار بين أيديهم يُبعث من جديد لينقذ الهند التى غرقت فى أوحال الملذات والآثام ، واعتقدوا أنه « الماهافيرا » المنتظر بُعث لينقذ الغرقى ويهدى الضالين ، فالتفَّت الجماهير حوله واتخذوه زعيمهم ورمزهم ، وأطلقوا على مبادئه « الجينية » نسبة إلى « جينا » بمعنى القهار .

بل ليست « الجينية » مبادئ ، وإنما هى ديانة ، ولهذا رضى أتباع ماهافيرا أن يحيَوْا حياة غاية فى التقشف والقسوة والحرمان وتعذيب الجسم والروح إلى حد لم يعرف فى أى دين .

فالجينية تحرم كل متعة ولذة وسرور ، فأكل اللحم حرام ،

وقتل كل ذى روح حرام ، ومن الحرام إيذاء أى كائن ، سواء أكان إنسانًا أم حيوانًا أم نباتًا أم جمادًا ، والزواج حرام ، لأنه متعة ، والمتعة محرمة ، والإعجاب بالجمال أو حبه حرام .

وأسرف أتباع الديانة الجينية فى الزهد وحرمان الجسم والنفس من كل شيء يبعث اللذة أو الراحة النفسية أو البدنية ، ويجب على الجينى أن يكون أكبر من الألم والضيق ، فلا يتبرَّم بألم الجوع والظمأ والبرد والحر ، وألا يضيق أو يتضايق بلذع الحشرات ، وألا يشعر بالخزى أو العار أو الخجل من العرى ، ولا يتبرم من النوم على الأرض دون فراش ، فحرام النوم على فراش .

ومن الفرائض ألا يشعر بالأسى على نعيم فقده ، لأنه لا أسف ولا حزن على حرام متروك .

ويأخذ الجينى نفسه بالقسوة التى لا قسوة بعدها ، فعلى الجينى أن يضع على لهب سراجه حاجزًا يمنع اقتحام فراش أو حشرة لئلا تحترق ، ومن الفرائض ألا تدخل فى فمه أو أنفه حشرة ، فهو ـ لهذا ـ يحمل بيده مروحة يذود عنهما الحشرات والهوامّ ، ومن تلك الفرائض ألا يطأ حشرة عمدًا أو غير عمد ، بل لا يجوز أن يدعسها وهو لا يعلم ، ولهذا يحمل بيده مكنسة حين يمشى يكنس ما بين يديه حتى لا تقع قدمه على حشرة فيقتلها أو يؤذيها .

وفرضٌ على الجينى ألا يبكى أو يشكو أو يتأوه إذا أصيب بما يؤلمه ، بل يجب ألا يشعر بضيق من أى أذى أو مصاب .

ويجب أن يتخلّق بالأخلاق الحسنة ، ويتنزه عن كل الآثام صغيرها وكبيرها .

وعندما يستطيع الجيني أن يخضع لدينه اثنى عشر عامًا يتبع ما رَسَم فإنه يصل إلى الدرجة العليا التى تمكنه من قتل نفسه ، فإذا استطاع أن يتنعم بالانتحار جوعًا مثل ما فعل والدا الماهافيرا فقد أدرك النعيم .

وقد فارق كثير من زعماء الجينية الحياة على هذا النحو ، وما يزالون حتى أيامنا هذه ينعمون بهذا الانتحار ، ويبلغ عدد الجينيين حوالى المليونين فى القارة الهندية .

ولا وجود فى الديانة الجينية لإله ، فهى لاهوت بلا إله .

ولعل فيما ذكرناه فى الجينية يغنى عن المزيد ، لأن أى إنسان فى الوجود كله من غير هؤلاء ذوى الفجائع والعاهات والمصائب يرضى بأن يدخل فى الجينية ، ولم يؤثر أن أحدًا من أى بلد فى العالم رضى بها دينًا غير أناس من الهند .

فالجينية لا تصلح لأن تكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة ، بل لا تصلح لأن تكون دينًا على الإطلاق لغير أولئك القوم .

البوذية

والبوذية من أديان الهند ، وهى كالجينية ديانة ملحدة ، لا وجود فيها لإله ولاهوتها بغير إله .

والبوذية منسوبة إلى بوذا المولود سنة ٥٦٨ والمتوفى سنة ٤٨٨ قبل الميلاد بشمال الهند من إقليم نيبال من أب حاكم ، وذكروا له من الخوارق فى حمله ومولده الشىء الكثير ، كما ذكروا أن والدته توفيت بعد ولادته بسبعة أيام لئلا تعيش فتحمل غيره .

واسم بوذا هو سدذارتا ، ومعناه : الذى حقق أمله ، وأما بوذا فمعناه : المستنير ، وكانت له وهو أميرٌ ابن ملك ألقاب ، وعاش كأمثاله غارقًا فى المتع والنعيم .

وقضى طفولة مرعية أحبطت بكل ما يكفل له حياة وادعة مبتسمة على الدوام ليس فيها غير البهجة والسرور .

وهكذا ودع الطفولة السعيدة واستقبل الشباب مَرِحا يطوى السنين غارقًا فى بحار المتع ينهبها نهبا ، لا يستقبل من الحياة إلا كل ما يرضيه ويسعده ، فزاد غرقه فى ملذات الحياة ومباهجها وفى الحلى والجواهر والذهب والفضة والترف حتى بلغ التاسعة والعشرين حيث تغير مجرى حياته ، فقد رأى ذات مرة مريضًا وذات مرة ميتًا ، وأخرى شيخًا فانيًا فتأثر بما رأى ، وساوره شعور لا يخلو من التجديف .

وذات ليلة قرر أن يبحث عن الحقيقة فغادر القصر مودِّعًا زوجه وولده ، وعاش بين النساك حتى صار من أئمتهم ، ودرس أسفار الفيدا واليوبانيشاد ، وغرق فى النسك والقشَف والتأمل ، وانتهى إلى أعلى المراتب بين النساك حتى صار مرشدهم ، ودرس البراهمية واطلع على أسرارها ، ولكنه لم يجد بها ما يرجو ، ولم تبح له بسر الوجود والحياة ، فانصرف إلى غارٍ بالبنغال ، وقسا على نفسه أشد القسوة ، وتقلب فى أشد ضروبِ الزهد والحرمان وإذلال الجسد وإرهاق النفس ، وتبعه خمسة من النساك جعلوه إمامهم ، وقضوا ست سنوات أشرفوا فى نهايتها على التلف وكادوا يهلكون .

وذاع صيت بوذا فى الآفاق وهو على حاله حتى انتهى به تعذيب

الجسد وإرهاق النفس إلى حد السكون التام ، لا يتحرك ، فكانت الطيور تقف عليه آمنة وكأنها تقف على عود ثابت ، بل كانت الوحوش تتحرك خلفه مطمئنة لا تقربه بسوء ، وعاش على ذلك ست سنوات دراكًا ومعه خمسة النساك ، إلا أنه صحا من سكونه ومن الحياة التى حييها على جديد من الأمر ، فقد أحس أن التجربة التى خاضها لم تحقق مأمله ، وصمم على الانتقال إلى حياة غير الحياة السابقة ، وحدَّث زملاءه الخمسة ، فلم يستطيعوا ثَنْيَه عن عزيمته فأخفقوا فاتهموه بالردة والمروق ، فاعتزلوه وتركوه وغادروا المكان إلى مرج الغزال فى مدينة بنارس .

أما بوذا فكان قد استرد بعض قواه ونشاطه ، وانتقل إلى شجرة جلس تحتها متربعًا ، ضامًّا يديه وفخذيه وساقيه ، وعزم ألا يبارح مكانه ولا يفك حبوته ولو نخرت عظامه وجف جلده أو يتنزل عليه نور الحكمة والمعرفة .

وماكاد سنا الفجر يشرق حتى أشرق معه نور الحقيقة والمعرفة وأضاء قلبه ، وأدرك ماكان يرجو ، أدرك أن الماضى والحاضر والمستقبل كلٌّ لا يتجزأ ، وعرف سر الحياة والموت ، ورحلة الروح فى مختلف الأجساد حتى تصعد إلى « النرفانا » حيث العدم العام وفناء النفس ، وهما السكينة والفناء ، إنه وجود يفنى فى وجود ، مثل فناء ألوان الطيف الشمسى فى البياض الناصع الذى لا لون له ، ولا يمكن الوصول إلى النرفانا إلا بعد صفاء النفس والفضائل فى عالم الحس ، أما تعذيب النفس والجسد والعبادة الظاهرة فليس ذلك بسبيل إلى النرفانا .

لقد هبطت عليه « الاستنارة » فكان بوذا ، وكثر أتباعه ، ومضى إلى مرج الغزال ببنارس يريد زملاءه الخمسة الذين ما كادوا يرونه حتى عزموا فيما بينهم أن يقاطعوه ، وألا يكلموه ، وما كاد يصل إليهم حتى هبوا لاستقباله ، فقد محت هيبتُه عزيمتَهم المصممةَ ، واحتفَوا به ، وأخذوا منه أول درس ، فإذا النور يشرق فى قلوبهم ويفيض على وجوههم مسرة .

وبعد هذا التحول فى حياة بوذا ، كانت الديانة البوذية ، وقوامها : أن براهما نفسه الإله الأعظم عند البراهمية يصيبه التغير والفناء ، مثله مثل أى كائن ، وجحدت الفكرة القائلة : إن براهما يستمد وجوده من ذاته ، كما تنفى البوذية عن براهما أنه كائن روحى منزه من شوائب المادة ، وتجحد أنه مصدر المعرفة والإلهام ، ولا تؤمن بوجود الآلهة ، وتنفى عنها ما يعتقده فيها عبَّادها .

وتعتقد البوذية بالتناسخ ، وهو عندها وعند أصحاب البراهمية التى تعتقده قصاص ، لأن النفس الشريرة لا تمضى إلى النرفانا لتفنى فيه ، وإنما تمضى إلى التناسخ الذى هو عقوبة الروح الشريرة التى تولد من جديد لتحل فى كائن آخر قد يكون إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا ، وهكذا كلما مات الجسد الذى حلت فيه الروح حتى إذا طهرت صعدت إلى النرفانا .

وعقيدة التناسخ مردها كما نرى إلى كفر تلك الديانات بالبعث ، أو خلوها منه وعدم تصورها للبعث والنشور ، وترى أن الجزاء عقابًا أو ثوابًا حتى لضمان العدل ، فلا يصح أن يتساوى المذنب والصالح ، فلابد من أن ينال الشرير أو الخيِّر الجزاء ، ولهذا اخترعوا

التناسخ لمن استحق العقاب ، والنرفانا لمن استحق الثواب .

فالعقيدة فى البوذية ـ كما مر ـ ليست عقيدة بالمعنى المعروف من كلمة العقيدة ، لأن فكرة الله معدومة فيها ، فهى لاهوت من غير إله ، وخَلْق بدون خالق .

ووجود « الكارما » و « النرفانا » لا يودع فى البوذية العقيدة التى انتفت بانتفاء الألوهية والإله منها .

والبوذية تعترف بالواقع والمادة ، ولكنها لا تحارب المؤمنين بالآلهة ، وهى مثل الجينية فى الإلحاد .

أما من ناحية الشريعة فكل ما جاء فى البوذية آداب وأخلاق حسنة ، أوامر ونواه تدعو إلى العمل الصالح والقول الصادق ، عمل الخير للناس ، وكف الأذى عنهم ، والبعد عن تعذيب الجسد وإيلامه ، والتنزه عن الكذب والفسق والباطل كله ، والتمسك بالحلال الصرف .

وفى البوذية آداب مرعية وأخلاق فاضلة هى مواريث الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وتوجزها وصاياها العشر التى جاءت فى كتاب من كتبها المقدسة وهو كتاب « سوتابيتاكا » الذى يضم مجموعة من خطب بوذا مكونة من خمسة فصول .

وخمس الوصايا الأولى موجهة للعامة والخمس الأخرى للخاصة ، ـ أى الكهان ـ والخمس الأولى هن :

أولا ـ لاتزهق روح أحد .

ثانيا ـ لا تكذب ، ولا تقل غير الحق .

ثالثا ـ لا تأخذ مالاً حرامًا (رشوة أو سرقة) .

رابعا ـ لا تتناول مسكرًا .

خامسا ـ لا تُقِمْ أى صلة جنسية محرمة (لا تَزْن) .

أما الخمس التى اختص بهن الكهنة فهن :

أولا ـ لا تأكل فى الليل طعامًا غير ناضج .

ثانيا ـ لا تحضر حفلة رقص أو غناء أو تمثيل .

ثالثا ـ لا تتزين بأى من أنواع الزينة ، ولا تستعمل أى عطر أو طيب .

رابعا ـ لا تتخذأى فراش وثير .

خامسا ـ لا تقبل من أحد ذهبًا أو فضة .

أما الخطايا التى يجب أن يتجنبها الإنسان فعشر ، هى الأغلال التى تمنعه من الصعود إلى النرفانا ، والخطايا العشر هى :

١ ـ الشهوة .

٢ ـ الجهل .

٣ ـ سوء النية .

٤ ـ الغرور .

٥ ـ الشك .

٦ ـ الوهم .

٧ ـ دنس القلب .

٨ ـ الكبرياء .

٩ ـ الأنانية .

١٠ ـ الشر .

وعندما يستطيع الإنسان التزام الوصايا العشر وحَطْم الأغلال العشر ، وأضاف إليها خصالاً عشرًا كان من السعداء الأخيار ، وهم الذين يصعدون إلى النرفانا أو يمضون إليه ، وتلك الخصال العشر هى :

١ ـ السخاء والجود .
٢ ـ العفو والحلم .
٣ ـ العفة المطلقة .
٤ ـ التخلص من العودة إلى الحياة .
٥ ـ الخلق الفاضل مع التفكير فى العواقب .
٦ ـ القوة فى دفع النفس إلى التسامى .
٧ ـ حسن القول ولينه .
٨ ـ حسن معاشرة الإخوان وإيثارهم على النفس .
٩ ـ الإعراض عن الناس والتوجه إلى الحق .
١٠ ـ بذل النفس فى سبيل الحق مع الشوق إلى البذل .

ومع أن بوذا وصَّى ونصح وشجع على الزهد فإنه لم يتجهم للنعيم ، فقد جاءه غنى واسع الغنى يستفتيه : أنزوله عن ثروته وجاهه وسلطانه أفضل أم عيشة الزهاد الناسكين الذين تجردوا من الدنيا واتخذوا فراشهم الأرض وغطاءهم السماء ؟ فأجابه : « فى وسع كل إنسان أن يتقلب فى نعيم الحياة الفاضلة إذا عف قلبه ولسانه ويده ، وإن من لم يستعبده الشغف إلى الثروة والحرص والكنز إذا ملكها وأنفقها فى وجوه البر والخير والصلاح فإنه يكون نعمة وخيرًا وبركة على مواطنيه » .

ومما لا شك فيه أن بوذا من الناحية الإنسانية إنسان كبير قلَّ فى الناس من يدانيه إنسانية ، ومن الناحية الاجتماعية مصلح اجتماعى أراد الخير وعمل على صلاح المجتمع ونقائه ، وكان هو نفسه آية فى حسن السلوك ، أما من ناحية العقيدة فقد انتهى إلى الإلحاد ، فما آمن ببراهما وغيره من آلهة الناس ، بل كفر بها .

وأثّر بوذا بشخصيته وخلائقه ووصاياه ودعوته فى كثير من الشعوب والمجتمعات والأفراد منذ وجوده حتى اليوم ، فهو فى الهندوكية ـ وهى الديانة البراهمية ـ من الأخيار ، بل رفعته إلى مقام الأعلياء النوادر الألى حلت فيهم روح الإلّه « فشنو » الإلّه المنقذ فى الديانة البراهمية ، وفيها الأقنوم الثانى من الثالوث البراهمى المقدس ، وعدّه بعض القديسين المسيحيين النصارى قديسًا عظيمًا .

وقال فيها شوبنهاور الفيلسوف الألمانى فى كتابه « العالم إرادة وفكرة » : « إن للبوذية المكانة السامية بين الأديان » .

هذه خلاصة وافية عن بوذا والبوذية عرضناها فى أمانة ، ولم نُبد فيها رأى الإسلام وإن كان الإسلام يقدر حق القدر من أحب مكارم الأخلاق ، واتصف بها دون النظر إلى دينه ، فقد كانت ابنة حاتم الطائى الجواد الأريحى العربى الذى ذهب مثلاً فى الكرم فى أسر المسلمين فطلب رسول الله ﷺ إطلاقها من الأسر وقال ما معناه :
« **كان أبوها يحب مكارم الأخلاق** » .

فهل تصلح البوذية لأن تكون دين الإنسانية ؟ إن دين الإنسانية يجب أن يجتمع له المعتقد والشريعة ، وطبيعى أن يكون

المعتقد سليمًا والشريعة إنسانية صالحة .

وما ثم شك عندنا أن فى البوذية من مكارم الأخلاق طائفة صالحة تعد من ذخائر الإنسانية بأوامرها ونواهيها .

ومع وجود مكارم الأخلاق فى البوذية فإنها لم تستوف ما يجب أن يكون فيها من شرائع وقوانين لضمان العدل والأمن بين الناس ، وذلك نقص كبير .

وليست مجتمعات العصر الحديث كالمجتمعات السابقة الساذجة أو التى كان كل مجتمع منها مقصورًا على نفسه ، ولم تكن مصالح الأمم متشابكة ، ولهذا لا تصلح البوذية لأن تكون دين الإنسانية شريعة وعقيدة ، لأنها خالية من وجود إله حق أو غير حق ، وشريعتها مقصورة على آداب وأخلاق لا تتسع للمعاملات وغيرها .

ومع أن البوذية هندية الأصل فإن عددهم فى الهند لا يعدو بضعة عشر مليونًا أكثرهم من بورما وسيلان ، وهى شائعة فى غير الهند ، مثل الصين ، حيث صار بوذا نفسه إلهًا معبودًا لدى الصينيين وأهل بورما والأقطار غير الهندية .

صار بوذا لدى هؤلاء إلهًا ذا أقانيم ثلاثة ، يرمزون إليها بهذه الأحرف : ا . و . م ، ويسمون بوذا « فو » ورأيت له فى تايبيه عاصمة تايوان (فرموزه) تمثالاً من الذهب ومعبدًا آية فى هندسة البناء والفن والجمال .

* * *

ولعل فيما ذكرنا من ديانات الهند غناء ، فهى أعظمها وأكثرها أتباعًا أو بروزًا ، وما عداها يسرى عليه ما سرى على ما هو أعظم

ديانات الهند التى صرفنا عنها النظر ، إلا أن تمام البحث يقتضينا أن نخص الهندوكية بكلمة ، لأنها من أشهر ديانات الهند ، ومع قدمها ما تزال حية باقية يدين بها مئات الملايين ، فيهم أدباء وشعراء وفلاسفة وعلماء وحكماء متمسكون بها مع كبر عقولهم وغزارة علومهم .

وفى الهندوكية طقوس كريهة ، وسئل نهرو ذات مرة حينما كان فى لندن من قبل صحفى قال له : إنك ذو عقل كبير ، فما ارتباطك بديانة كالهندوكية ــ وعدّد بعض عيوبها ــ فرد عليه نهرو : اسمع ، عندما يكون الأمر متعلقا بالعقيدة فلا مجال للاعتراض والنقد ! .

الهندوكية

الهندوكية مصطلح يطلقه الأوربيون على ديانات معظم شعوب الهند ما عدا الديانة الإسلامية المستقلة المعروفة بعلاماتها الفارقة التى تميزها عن غيرها من الديانات الوثنية وغيرها من الديانات السماوية المحرفة كاليهودية والنصرانية .

ولكن الهندوكية فى حقيتها هى الديانة البراهمية التى سبق البحث والكتابة فيها .

وللهندوكية كتاب مقدس يسمى « منوسمرتى »[(١)] يحوى قانون الهندوكية فى العبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق والحدود والعقوبات المختلفة والحقوق والواجبات وغيرها .

---

(١) ترجمه إلى العربية الأستاذ إحسان حق ، ونشرته دار اليقظة العربية ، وأهدى المترجم نسخة من كتابه إلى الملك فيصل رحمه الله ، وأهدانيه جلالته لأكتب له خلاصة وافية عنه ، فكتبتها وقدمتها له ، وما عندى صورتها ، أما الكتاب فأهدانيه وما يزال بخزانة كتبى .

وفى « منوسمرتى » أشياء كثيرة حسنة وصالحة لأن يحكم بها ، وفيها من الآداب المرعية الطيبة وقواعد السلوك الحسن والأصول شيء كثير يصلح لكل العصور ، وفيها من الأحكام الشرعية ما هو صالح بالنسبة للعصور التى وضعت فيها وما بعدها .

ولكن « منوسمرتى » من ناحية العقيدة يحوى ما يدل على أساطير وخرافات ووثنيات وشركيات ، ويذكر المترجم لفظ الجلالة ترجمة لكلمة « الإآله » الأعظم عند الهندوكية ، وما أحسب أنهم يريدون « الله » جل جلاله ، فصفات الإآله الأعظم لا تمت كلها إلى الوحدانية كما نفهمها ، ففى تلك الصفات ما لا يتفق مع كمال الله تبارك وتعالى ، فالهندوكية تقرر تعدد الآلهة ، وهم لديها كثير ، ولكن « برماتما » سيِّد كل الآلهة ، ويصفه المترجم بأنه واجب الوجود ، وهو وصف لا يصلح لغير الله جل جلاله ، فالإآله الهندوكى الأعظم برماتا يحويه زمان ومكان وبدء ونهاية ، ففى ترجمة المترجم فى أول الكتاب تحت عنوان « خلقة العالم » هذه العبارات (ص ١٠ ــ ١١) .

« ثم بدا له أن يخلق المخلوقات من جسمه ، فخلق ــ أولا ــ الماء بالفكر ، ثم ألقى فيه بذرته » .

و « فصارت هذه البذرة بيضة ذهبية لها لمعان كالشمس ، وانبعث منها برماتما نفسه فى صورة برهما Brahma جد العالم كله » .

و « إن الذات الأولى التى خلقها برماتما الباطن الأبدى الذى هو حق وغير حق معًا هى برهما » .

و« أقام برهما فى هذه البيضة سنة كاملة إلخ » .

والإله الأعظم « برماتما » هو برهما ، وكان فى البيضة وسبقه الماء فى الوجود .

وهذه الصفات لا يمكن أن يوصف بها الله سبحانه وتعالى ، وإله الهندوكية ـ التى هى البرهمية نفسها ـ المسمى برماتما أو برهما إله وثنى .

وعلى أى حال ما قلناه فى البرهمية هو قولنا فى الهندوكية ، لأنهما ديانة واحدة ، ومع وجود « منوسمرتى » فهى لا تصلح لأن تكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة ، لأن العقيدة وثنية ، ولأنه لا وجود فيها لليوم الآخر ، والنرفانا عدم أسطورى ، والشريعة وثنية ، وإن كان بها من الآداب والأحكام ما هو إنسانى ، وتلك هى الحصة الإنسانية المشتركة بين الديانات الوثنية والديانات السماوية الصحيحة .

فشريعة الهندوكية غير صالحة وإن معتنقيها أدركوا ذلك ، فلم يحكِّموها فى دنياهم ومعاملاتهم ، بل لم يحكِّموها فى أى أمر من أمورهم فى المعيشة والحياة .

وإغفال الهندوكيين ديانتهم وعزلها عزلا تاما عن الحكم بل عن الحياة كلها إقرار بأنها غير صالحة للحياة .

وإذا كان أهلها أغفلوها ولم يحكِّموها فذلك هو الدليل على أنها غير صالحة للإنسانية بتَّةً ، وهى على التحقيق غير صالحة .

ديانات الصين

للصين ديانات لا تخرج عن ديانات البدائيين وغيرهم من

الشعوب ، فقد عبدوا الأسلاف ، ومظاهر الطبيعة ، كما عبدوا الطواطم . وعبدوا الشمس والقمر والنجوم والمطر والرياح والأرض والسماء باعتبارها آلهة أخلصوا لها العبادة .

وأكبر الآلهة عندهم السماء (شانج ـ تى) فالسماء الإله الأعظم ، ومدبر الأكوان ، ومصرِّف أمور العباد ، وواهب الرزق ، ومصدر الخير الذى ينالهم ، والسماء ـ عندهم ـ جوهر ، وإله عليم قادر فعال لما يريد ، ولا رادَّ لإرادته .

ولكن عبادة الأسلاف تسير فى خط واحد مع عبادة السماء ، والصينى كالهندى عميق التدين ، ولكنه يفترق عن الهندى أن الصينى إيجابى والهندى سلبى ، الصينى يُقبل على الحياة إقبالاً ، ولا يزهد فيها ، وإنما يزهد فى الشر ، ولا يحرِّم على نفسه الأطايب ، ويكره العزلة ولا يطيقها ، فيربط نفسه بالناس ، كما يربط نفسه بالماضى والحاضر والمستقبل ، أما الهندى فزاهد فى الحياة والناس والشر .

الصينى عميق التدين ، ولا يحمله عمقُ تدينه على الإيمان بآلهته فى كل أحواله ، وما دامت أموره تسير وفق هواه ورغباته تتحقق فإيمانه بالآلهة قوى ، فإذا خاب أمله أو أخفق مسعاه فإنه يعرف حقيقة هؤلاء الآلهة وحقيقة المادة التى صُنعوا منها ، ومهما اشتدت مصائبه فلا يُجدِّف ، وإنما يداهن الأديان كلها ، أفلا يجوز أن يكون بين الآلهة الكثيرة إله حق ؟ فالاحتياط ضرورة ، وليُرْض رجال كل دين بقليل مما عنده .

لا يهم الصينى غير أمر معاشه ، فهو يشغل نفسه به ، أما الآلهة

فيدعها للكهنة ، فهم أولى بها منه وأعرف ، وما ثم ما يمنعه من التعبد والإيمان مادام للعبادة متسع من وقته .

وأكبر ديانات الصين : الكنفوشية ، والطاوية ، والبوذية ، وهذه هى الديانات القديمة التى سبقت دين الإسلام الذى دخل الصين ودخل فيه الملايين من أبنائها ، وما يزالون متمسكين بها حتى اليوم .

وفيما يلى من الصفحات ذكر موجز لديانات الصين .

الكنفوشية

لم يدَّع صينى النبوة والرسالة ، وإنما قام فى الصين معلِّمون ومصلحون وهداة ودعاة ، وكنفوشيوس حكيم الصين الأكبر لم يكن إلا معلمًا ومرشدًا وحكيمًا ، ونجح فى دعوته نجاحًا عظيمًا .

ولعل كنفوشيوس الصينى الفاذ الذى يذكر على ألسنة أكثر الصينيين حتى اليوم وفيهم أبناء الديانات الأخرى من الصينيين أنفسهم ، والجميع يقدُرونه ، لأنه حكيم ومصلح ، ولم يكن من الكهنة واللاهوتيين ، بل لم يكن من رجال الدين ، وإنما كان أديبًا وداعية مصلحًا .

وعرفت الصين حكماء ومصلحين ومعلمين قبل كنفوشيوس ، ولكنه وحده الذى ذاع اسمه ورجح بمن سبقوه ، لأنه أراد الخير للناس ، متخذًا أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، بعيدًا عن تعقيد الفلاسفة والكهان ، مبتعدًا عما وراء الطبيعة والميتافيزيقيات .

وولد فى اليوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر سنة ٥٥١ قبل

الميلاد بمدينة « شوفو » بمقاطعة « لو » المعروفة فى أيامنا هذه باسم « شانتونج » وهو من قبيلة «كونج » ويتكون اسمه من مقاطع ثلاثة : كونج ـ فو ـ تسى ، وتسى معناه : المعلم أو الحكيم ، وهو سليل فرع ملكى ، وعند مولده كان أبوه فى السبعين ، ومات عندما بلغ ابنه الثالثة ، ونسجت أساطير حول مولده .

وعاش فقيرًا ، وتزوج فى التاسعة عشرة من عمره ، واضطر أن يتقلب فى عديد من الأعمال ليكسب رزقه ورزق أسرته ، فعمل راعيًا وبستانيًا وخازن بضائع .

ولما بلغ الثانية والعشرين اتخذ التعليم حرفة له ، ويعلِّم الطلاب تلقاء أجرة يدفعونها ، أما الفقراء فما كان يأخذ منهم أجرًا ، وكان يدرِّس الأدب والتاريخ والموسيقى ، وبيَّنَ سبب اختياره قائلاً : الأدب يهذب خلق الإنسان ، والتاريخ يزوده بالعظة والاعتبار ، والموسيقى تعطر حياته .

وانضم إلى طلبته أميران ، ثم اصطحباه إلى العاصمة ، فوجد الفرصة مهيأة له لينمى معارفه من مكتبة القصر ، فتزود منها ، وتضلع مما تحوى من المعارف الإنسانية ، واستمتع بموسيقى القصر .

ولقى فى العاصمة « لاوتسى » المعلم أو الحكيم « لاو » الذى كان أكبر حكماء عصره ، ولم يرحب بكنفوشيوس ، ولكن كونفوشيوس غادره وهو سعيد ، لأن ما سمع منه اعتبره نصحًا ثمينًا أفاد منه فى حياته .

وكان يلقى دروسه ارتجالاً ، ولا يدوّن شيئًا ، وكذلك كان حتى آخر حياته ، وكان يستلهم الأحداث والحوادث فى دروسه

وعظاته ، فرأى ذات مرة امرأة تبكى على قبر ضم زوجها ووالده وابنها ، فدهش فقالت له : إن المكان كثير النمور وقد افترستهم ، فقال لها : وما يجبرك على السكن مع النمور ولا تمضين إلى مكان آمن لا نمور فيه ؟ فقالت له : ولكنّ حاكمه عادل .

فنظر إلى تلامذته وكانوا كثيرين وقال لهم : اعلموا أن الحاكم الظالم أشد من النمور فتكًا ، ويستطيع الإنسان أن يجد الأمن فى غابة الوحوش ويفتقده فى ظل الحكومة الظالمة ، فيصبر على الوحوش ولا يقدر أن يصبر على الظلم .

وتولى فى بعض فترات حياته مناصب رفيعة ، منها القضاء ، فإذا المدينة تنعم فى أمن ومحبة وسلام ، لأن العدل سيطر عليها ، ثم تولى وزارة الأشغال فأحال المدينة إلى جنة ، وزاد عمرانها وحضاراتها ، ثم تولى وزارة العدل التى كانت تسمى وزارة الجرائم ، فإذا الجريمة تَمَّحِى .

ثم ترك الأعمال الحكومية زاهدًا فيها ، وتفرغ للتعليم والموعظة ، حتى إذا تجاوز السبعين فجع فى ابنه ثم فى أحد مريديه ثم فى تلميذ من أحب تلامذته فبلغ به الألم والأسى أقصى المدى وقال : ما للسماء تحاربنى ، والسماء : الإله الأعظم .

وليست الكنفوشية ديانة ، بل هى فى أساسها وصايا وعظات وآداب وأخلاق ، وتتسم بالوضوح والسهولة ، فليس فيها تعقيد أهل الفلسفة ، كما خلت من الجدل وجفاف العلوم .

ومن أصول العقائد المقررة فى الكنفوشية الإيمان بالسماء على اعتبارها الإله الأعظم (شانج – تى) والاعتراف بعبادة

الأسلاف ، ولم تأت الكنفوشية لاقتلاع الجذور السلفية .

وليست السماء هذه التى يعرفها الناس ، وإنما هى « الشانج تى » بمعنى الإرادة أو القوة العليا المسيطرة على العالم .

وبعد موت كونفوشيوس صارت الكنفوشية ديانة عندما تحول كونفوشيوس إلى إله ندٍّ للسماء ، وصار يعبد عبادة لا تخرج عن عبادة الأسلاف فى الديانات الوثنية .

وتعنى الكنفوشية بالواقع والإنسان ، وشغلت الصينيين عن الغيب والسحر والمجهول ، والبعد عن الزهد والانقباض والتشاؤم ، فهى من الديانات التى تقوم على البساطة والتفاؤل .

الطاوية

سبقت الديانةُ الطاويةُ الديانةَ الكنفوشيةَ ، وتنسب إلى تاوته جنج ومعناه : كتاب الطريقة والفضيلة ، والطريقة هنا ليست بمعانيها المعروفة فى العربية ، وإنما معناها : الإله ، ومن صفاته : ليست بصورة ولا صوت ، ووجوده سابق وجود غيره ، وهو أصل كل الموجودات ، وروحه سارية فيها ، وبقاؤه أبدى لا يفنى .

وصبغة الطاوية حلولية ، وتؤلِّه مظاهر الطبيعة وتعبدها ، كما تعبد الأسلاف ، وفى الطاوية فانٍ وباقٍ ، فالفانى الإنسان ، والباقى غير الفانى ، وعندما يرتقى الفانى بالمعرفة التامة يمكنه الاتحاد مع الباقى والاندماج فيه ، وعندئذ يصل إلى حال « الأثيرية » التى تشبه « النرفانا » فى البرهمية .

والانتقال إلى حال « الأثيرية » صعود إلى حيث تنعدم فيه معرفة

الماضى والحاضر ، و « إلى حيث » هذه موضع غير مادى ولا محسوس وغير معروف ، ولكنها موضع ينتهى إليه الإنسان بعد اجتيازه مرحلة الترقى إلى المعرفة الحق ومعاناة الشعور بالاتحاد فى الباقى ، وبعد ذلك يصل إلى « الأثيرية » عن طريق المعرفة الكاملة حيث ينتقل إلى « إلى حيث » حيث لا يوجد موت ولا حياة ، وتسمى هذه الحالة الأثيرية نيبان Nibban التى تشبه « النرفانا » الهندية ، ونيبان هى مرحلة الراحة الأبدية .

ويذكر البحاثة دوان Doane فى كتابه « خرافات التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى »[1] أن الطاوية تثليث ، وهذا قوله : « إن الطاويين يعبدون إلٓها مثلث الأقانيم ، وأساس الفلسفة الطاوية أن « طاو » هو العقل الأول الأزلى ، انبثق منه واحد ، ومن هذا انبثق ثالث كان مصدر كل شىء » .

ولم تنتشر الطاوية فى الصين انتشار الكنفوشية وغيرها لما فيها من التعقيد والأسرار والكهانة ، ولكن ما تزال قائمة حتى اليوم ، وقد رأيت بعض معابد الطاوية فى تايوان (فرموزه) عندما زرتها سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) وأشهر معبد طاوى رأيته معبد « شهنان » قرب « تايبيه » عاصمة الصين الوطنية ، ويضم المعبد تمثال « لو – تونغ – ين » حيث تقمصته روح إلٓه الطاوية كما يزعمون . وكل ديانات الصين غير صالحة لأن تكون دينًا للإنسانية جمعاء ، فعقيدتها وثنية ، والوثنية لا تصلح للإنسانية دينًا ،وليست ديانات الصين شريعة تصلح لغير الزمن الذى كانت فيه ، وقد اندثرت من

---

(١) Bible Myths and their Parallels religions.

الوجود ، فقد استبدلت بها الصين الشيوعية المذهب الشيوعى ، والصين الوطنية شريعة الغرب .

ديانة اليابان : الشنتو

ديانة اليابان المسماة « الشنتو » مقصورة على التوجه إلى الأسلاف والامبراطور الماضى بالعبادة والتقديس ، وما عدا هذا التوجه فهى خلو من الفرائض والطقوس وآداب السلوك والشريعة ، وليس بها عالم الغيب ، ولهذا كله خلت من الكهنة ورجال الدين . وفى الشنتو عبادة الشمس ، فهى إلهة لدى اليابانيين ، وتسمى « أميتراسو ـ أو ميكامى » المعبودة حتى اليوم ، وهى أعظم الآلهة اليابانية ، وهيكلها الأعظم الأقدس فى « إيزى » وبه مرآة يزعمون أنها أهدتها للأمبراطور جمو ، أول أمبراطور لليابان فى القرن السابع للميلاد .

ويعتقدون أن الامبراطور ابن السماء ، لأنه سليل الآلهة ، بل سليل الإلهة الشمس ، وكلمة « ميكادو » التى يوصف بها الامبراطور تؤدى معنى « الباب المجيد » .

ومن عقيدتهم أن إلهتهم الكبرى الشمس مسبوقة فى الوجود بآلهة تعد بالألوف ، وتتكون من المخلوقات العلوية والسفلية ، ومن الأرواح والملائكة ، ومن الجن والشياطين ، ومظاهر الطبيعة ، ولكن الإلهة الشمس انتصرت عليهم فى حرب ضروس .

ومع هذا الاعتقاد يعتقدون أن خالق الخلق غيرها ، وهو إله السماء المسمى عندهم « أساناجى ـ نوميكوتو » الذى خلق الخلق

بمعونة أخته « أسانامى – نوميكوتو » التى تزوجها فكانت ثمرة زواجهما جزائر اليابان ، وسكانها من لقاح بذور الآلهة فهم نسلها .

ووفدت إلى اليابان من الصين البوذية فى سنة ٥٢٢م فلم تُستَقْبَل فى أول الأمر بجفاوة ، لأنها جاءت إليهم بعظمة وترف وأبهة وزينة لا عهد لها بها ، ورأوا معابدها آية فى الجمال والروعة والفخارة .

وصارت البوذية شائعة فى اليابان شيوعها فى الصين ، وإن كانت فى الصين أشيع .

وليس فى الشنتية والبوذية شريعة متبعة ، بل هما مقصورتان على المعتقد .

وهما غير صالحتين للبشرية عقيدة وشريعة ، لأنهما وثنيتان قائمتان على الأساطير والأوهام ، ولأنهما خاليتان من الشريعة ، مما حمل اليابانيين على ابتكار قوانين شرعوها لأنفسهم ، ونظروا فى كثير منها إلى قوانين الغرب فأخذوا منها ما هم فى حاجة إليها .

بوذية الصين

مر بالقارئ أن البوذية من ديانات الهند ، ولكنها عندما تركت موطنها الأصيل واتجهت إلى الصين ثم اليابان لقيت فى الصين ترحابا عظيما ، وصار بوذا نفسه إلٓها معبودا ، بل صار الإلٓه الأكبر عند الصينيين ، تتبعه بوذات صغيرة هى آلهة أيضا فى عقائد عُبَّادها .

ومع أن البوذات آلهة صغيرة – كما يعتقدون – إلا أن صغرها لا يقلل من شأنها ، فلابد أن يأخذ الإلٓه حقه من العبادة والإجلال والتقديس .

* * *

هذه ديانات الصين والتبت وكوريا والهند واليابان ، فهل تصلح لأن تكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة ؟ .

إنها خالية من العقيدة الدينية إلا من عقائد بدائية ، ثم تحولت إلى شيء من العقائد على أيدى الأتباع ، وسواء أكانت عقيدة أم لم تكن فهى لا تصلح للإنسانية ، لأنها تفتقر إلى الأركان التى يجب أن تكون فى العقائد حتى تقوم على أسس راسخة ، وهى بعد ذلك وقبله وثنية ، وهى فى طبيعتها الأولى دين تسول وزهد وخمول وعزوف عن الحياة وانصراف عن الكفاح ، وفى طبيعتها الأخرى دين يقبل بمعتنقه على الحياة بروح التفاؤل والكفاح دون أن يفرض عليه من العبادات فروضًا يثاب على فعلها ويعاقب على تركها .

أما الشريعة التى تنظم أمور الحياة وتصرِّفها وتنظم معاملة الناس وتحكمهم حكمًا يضمن الأمن والعدل والحقوق فلا وجود لها فى هذه الديانات ، فلهذا نفتقد فيها الصلاح لأن تكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة .

ديانات فارس والعراق وسوريا

ظهرت ديانات فى فارس والعراق وسوريا مثل المجوسية (الزرادشتية) فى فارس ، ومثل الديانات السومرية والبابلية والآشورية فى العراق ، والفينيقية والآرامية فى سوريا ، وكلها ديانات وثنية ، وقد انقرضت بعقائدها وشرائعها ، وانقراضها برهان على فقدانها الصلاح للحياة وإن كانت الزرادشتية قائمة حتى

الآن فى حدود ضيقة ، ومقصورة على أتباعها الذين لا يُذكرون لا هم ولا دياناتهم .

وهذه الديانات التى انقرضت وماتت وزالت عن الوجود ومثلها ديانات مصر وديانات التوحيد الحق مثل ديانة نوح وديانة إبراهيم لا تصلح لأن يكون دين منها دين الإنسانية كلها ، لأنها لو صلحت لبقيت ، ولو بقيت لما صلحت لأن تكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة ، لأن ما فى ديانات التوحيد ـ غير الإسلام ـ لا تصلح شرائعها للإنسانية كلها فى حاضرها ومستقبلها مع كمال العقيدة فيها ، لأن الدين الذى يُرَشَّح لأن يكون دين الإنسانية جمعاء يجب أن تتوافر له مع العقيدة الصحيحة شريعة صالحة لكل زمان ومكان .

ديانات العرب

لم تخرج ديانات العرب عن ديانات غيرهم ، فقد عبدوا الأسلاف والطواطم والأصنام ، وتعددت لديهم الآلهة والأرباب .

وعرف الحجاز ديانة التوحيد الحق ، فكانت به ديانة إبراهيم وابنه اسماعيل ، وهى ديانة توحيد خالص تحوى العقيدة الصحيحة ، ومضت القرون وديانة الحجاز هى ديانة إبراهيم حتى تغيرت إلى ديانة وثنية وشرك على يد حاكم حجازى يدعى عمرو ابن لحى ، وذلك قبيل مبعث رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ببضعة قرون .

وكانت أقطار شبه الجزيرة كالحجاز واليمن ودول الخليج فى

عصورها الماضية غارقة فى الوثنية والشرك ، وكانت الشرائع المتبعة بدائية وقبلية ، حتى إذا أكرم الله البشرية كلها بدين الإسلام زالت تلك الديانات والشرائع من جزيرة العرب ، وصار الإسلام دين العرب وشريعتهم والحمد لله .

ديانات مصر وأفريقيا

عرفت مصر عبادة الطواطم والأسلاف التى استمرت فى عهود الحضارة وتفتُّح العقل ، وبعد أن تركوا تلك العبادة استمر تقديس الأسلاف والطواطم إلى ما بعد التطور الكبير .

واجتمعت على ثرى مصر عبادة آلهة كثيرة ، فالذين عُنُوا بالزراعة والفلاحة عنوا بالأرض ، لأنها هى التى تمنحهم الطعام والشراب والكساء كما تمنح دوابهم ، ولم يقف المصريون على الأرض وحدها ، وإنما تطلعوا إلى السماء التى تنزل عليهم المطر ، وأدركوا أن للشمس دخلا فى نبات الزرع وطرد المخاوف ، كما عرفوا القمر وأثره فى المد والجزر ونبات الزرع فجعلوا من كل هؤلاء آلهة عبدوها .

وديانة الشمس تقتضى علما وعقلا ينم عنهما ربطهما الأسباب بالمسببات ، أما عبادة الشمس على أنها مظهر من مظاهر الطبيعة كأى نجم أوكوكب أو أى كائن معبود من قبل الوثنيين فعبادة قديمة معروفة ، عرفها الهمجى ، لأنه استطاع أن يربط بين الأمن والشمس ، وبين الشمس وراحة البال والجسم .

يأتى الظلام بمخاوفه فيهرع الهمجى إلى كهفه يلوذ به ، والظلام

عنده مخيف ، ويحجب عنه الرؤية وتمييز المرئيات ، ويمنعه من الحركة والتجوال ، ويجبره على السكون والانزواء ، وتقف حركة من كان يراهم متحركين من الناس والحيوان والنبات ، فالظلام ـ إذن ـ شر لا يستطيع دفعه ، وعرف هذا الضرب من الشر وإن لم يصل ـ بعدُ ـ إلى إدراك كنهه ، واختراع اسم له .

فإذا طلعت الشمس تبدد الظلام ، وشعر بالراحة والأمن والنشاط ، وأبصر المرئيات ، ورأى طريق رزقه ، وميز بين الأصدقاء والأعداء ، فالشمس هى التى منحته كل هذه النعم وبخاصة الأمن ، وقد يكون الوقت وقت برد ، فإذا أشرقت الشمس وهبت له الدفء وفى الدفء راحة ونعيم ! .

فهو مدين للشمس بكل هذه المكرمات ، ومن الوفاء أن يحبها ، فإذا غابت عنه اشتاق إليها ، وانتظرها بشوق لا مزيد عليه .

وكلما مر الزمن زاد التعلق بالشمس حتى عبدها المصرى مثل غيره من الشعوب ، فلما بلغ الشعب المصرى أعلى مستوى من الحضارة والعلم والرقى كانت الشمس إلّهة عظمى عنده .

وعرفت مصر عبادة الأسلاف والأرواح ومظاهر الطبيعة والطواطم ، ويشير تقديس المصريين للكلب والصقر وابن آوى والنسناس والقط والتمساح والجعل والنسر والوعل والعجل والبقرة إلى أنها كانت طواطم معبودة ، ثم لما ارتقى المصريون فى شؤون العقيدة بقيت هذه الدواب مقدسة .

واستغرق الدين والتدين كل حياة المصرى فعبد الأرض والسماء وما فيهما ، وعبد ما أحس به أو شاهده أو تخيل فيه حياة

وروحا أو أى معنى من المعانى .

وأخذت العقيدة الإلٓهية تتطور حتى إذا بلغت الحضارة المصرية أرقى ذراها صارت لهم بطبيعة الحال شريعة متقدمة فى العبادات والمعاملات والسلوك والاجتماع والحقوق وأنظمة الحكم والتربية والتعليم .

وشريعة مصر يوجزها ميت وقف فى محكمة « أوزيريس » يدافع عن نفسه بذكر محاسنها وأعمالها الخيرة ، وتنزهها عن الشرور والآثام قائلا :

« سلام عليك أيها الإلٓه العظيم » .

« إنى أعرف اسمك وأسماء الاثنين والأربعين إلٓها الجالسين معك يقضون على الخاطئين .

« جئتك يارب وحليتى الحق .

« لم أظلم ، ولم أمض فى طريق الشر .

« لم أرتكب خطيئة ، ولم أرم بها بريئا .

« وما حنثت فى يمين .

« ولم أشته زوجة قريب أو صديق .

« ما ألحقت أذى أو ضررا بمخلوق .

« وما أجعت أحدا من الخلق .

« وما طمعت فى مال غيرى .

« ولم أكن سببا فى بكاء إنسان .

« ولم أكذب ، ولم أقتل ، ولم أسرق .

« ولم أتخذ الغدر للحصول على المال .

« ولم آت بفاحشة .

« ولم أبع قمحى بثمن فاحش .

« ولم أطفف الكيل ولم أخسر الميزان .

« ولم أنتزع اللبن من فم رضيع .

« ولم أمنع الماشية مرعاها .

« ولم أتلف زراعة أحد .

« ولم أخالف نظام الرى .

« ولم أبطل شعائر الدين .

« ولم أفعل شرا ، ولم أخدع .

« ولم أكلف عاملا فوق طاقته .

« وماكنت نَمَّاما ، ولم أرفع صوتى على أحد .

وأرجو أن أكون لديك من الفائزين » .

هذا ما جاء فى كتاب الموتى القديم فى مصر ، وهو مجموعه طيبة من الآداب والأخلاق الحسنة ، تبرهن على تقدم حضارى وإنسانى عظيم .

ولا تخلو ديانات الأمم المتقدمة من أمثال هذه المحاسن ، فهى الحصة الإنسانية المشتركة بين الأمم . وهى من بقايا آداب الديانات الصحيحة التى زالت فبقيت من آثارها تلك المكارم التى تصلح لكل عصر ، لأن مهبطها الحقّ من الله .

وديانات إفريقيا هى ديانات همجية عرف أهلوها صنوفا من العقائد والعبادات والآلهة كما عرفها غيرهم من أبناء الشعوب الأخرى ، وهى لا تخرج عن عبادة الأسلاف والأرواح والطواطم

ومظاهر الطبيعة .

وكانت لهم مع عقائدهم شرائع بدائية ، كل شريعة خاصة بقبيلة أو عشيرة ، وليس فيها ما يدل على أنه انبثاقة من حضارة أو أثارة من علم .

وكل شرائع القبائل الإفريقية قد ماتت ، وما بقى منها محدود الأتباع فى قبائل منقطعة الصلة بالحضارة الحديثة ، والقانون الغربى هو السائد ، لأن الاستعمار الغربى جعل قانونه الشريعة المتبعة ، فلما انحسر عن إفريقيا بقى قانونه سائدا .

أما مصر فعقائدها وشرائعها القديمة قد امحت عن الحياة والتطبيق فى عصور المسيحية ، ولما انتشر الإسلام فى مصر صار عقيدتها وشريعتها حتى سيطر الغرب فصار القانون شريعة مصر إلا فى المواريث والأحوال المدنية فقد بقيت على صيغة الإسلام التى لم تسلم من أثر قانون الغرب .

وطبيعى أن هذا القانون غير صالح ، لأنه منفصل عن العقيدة ، ونحن نبحث عن الدين الصالح للإنسانية عقيدة وشريعة .

الديانات الثلاث السماوية

تقوم على الأرض فى عصرنا الحاضر ثلاث ديانات سماوية هى : الموسوية أى اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ، فأيها الدين الصالح لحكم الإنسانية فى حاضرها ومستقبلها بعد أن ثبت أن غيرها من الديانات غير صالح .

أى ديانة من هذه الديانات الثلاث المرشحةُ للعالم ؟ .
آليهودية ؟ آلمسيحية ؟ آلإسلام ؟ أى منهن الديانة الصالحة للإنسانية مدى الدهر؟ الصالحة عقيدة وشريعة ؟ ! .
هذا ما سنجيب عنه فيما يأتى من الصفحات ، والله الموفق .

ديانة موسى

الموسوية ديانة موسى ، وهى ديانة سماوية صحيحة ، أرسله الله بها إلى بنى إسرائيل وفرعون ، وكانت ديانة صالحة لقوم موسى ، وانتهت بعد موسى إلى من خلفوه من اليهود فحرّفوها واستبدلوا بها على مرّ الأيام ديانة يهودية اخترعها رجال الدين من الحاخامين.

وعلى أى حال لم يدَّع اليهود أن ديانتهم دين الإنسانية ، بل أعلنوا أن ربهم «يَهْوَهْ» خاص بهم وحدهم ، وديانتهم خاصة بهم لا يشركهم فيها غيرهم ، ويحرِّمون على غيرهم دخولها ، كما يحرمون ربهم على غيرهم ، إذ لا حق لسواهم فيه .

ونحن نرى مع غيرنا أن اليهودية ديانة شاذة لا تصلح لغير اليهود ، وربهم يهوه مثل ديانتهم فى الشذوذ لا يصلح لغيرهم .

وكل أتباع الديانات الصحيحة والباطلة ينزهون آلهتهم على قدر عقولهم وثقافتهم ، والمؤمنون الصادقون ينزهون الله الحق تنزيهاً مطلقاً ، ويؤمنون بأن كل رسل الله معصومون ، إلا اليهود فإنهم يثبتون لربهم النقائص والمعايب ، ويتهمون الرسلَ الكرام رسلهم زوراً وبهتاناً بما لو اتهم به الأراذل لحط منهم .

وما نحن بحاجة إلى بحث اليهودية لنرى أهى صالحة لأن تكون

دين الإنسانية عقيدة وشريعة بعد أن حكم اليهود أنفسهم ، إذ قرروا أن اليهودية ديانة مغلقة عليهم ، فربهم «يهوه» خاص بهم ، ولا يشركهم غير يهودى فيه ، وكذلك دينهم .

وحسب حكمهم وحكم الناس لا تصلح اليهودية لأن تكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة ، والإنسانية نفسها تؤيدهم فى هذا الحكم ، وما أيدتهم قط ولا تؤيدهم فى غير هذا الحكم .

ومع هذا نرى من الخير عرض اليهودية عقيدة وشريعة تبييناً لخطرها على الأديان وبنى الإنسان طراً حتى يستعدوا لدرئه .

ويرى اليهود أنفسهم موحِّدين ، لأن إلهم «يهوه» واحد ، فديانتهم ـ على هذا ـ ديانة توحيد كما يزعمون .

ويحسبون أن اعترافهم بآلهة الآخرين أو وجود آلهة لغيرهم لا ينقص التوحيد ووحدانية إلههم ، لأنهم لا يعترفون بإنسانية بنى الإنسان جميعاً ، فما الناس عندهم إلا «قوييم» كل الناس قوييم ، ومعناه عند اليهود : البهائم والخنازير والمرتدون والوثنيون والأنجاس والخونة والفساق إلخ .

والقوييم «حيوانات» ووثنيون ، ويدعى اليهود أنهم هم البشر ، وغيرهم ليسوا ببشر ، بل حيوانات ، ورسلهم مثلهم ، وماداموا وثنيين فإلههم إله وثنى ، وماداموا كذلك فدياناتهم وثنية .

ومادام غير اليهود بهذه الصفات التى يصفونهم بها فلا ضرورة لهم إلى رسل وشرائع ، لأن «البهائم» ليست فى حاجة إلى ذلك .

ولما كان البشر بهائم فاليهود وحدهم البشر ، فشريعتهم لهم وحدهم ، ولا تصلح شريعة البشر للبهائم .

وتأييداً لما ذكرناه نستشهد بنصوص من توراة اليهود ومن تلمودهم المقدس لديهم أكثر من قداسة التوراة ، مبتدئين بعقيدتهم فى الإله إلههم المعبود .

فى «سفر التكوين» أول أسفار التوراة بالإصحاح الثالث فى الحوار الذى دار بين الله وآدم وحواء : «وسمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة» .

وفى الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين فى قصة إبراهيم عندما زاره الله ومعه ملكان فى صور رجال ثلاثة : «وظهر له الرب عند بلوطات ممرا» إلى أن يقول : «وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا» .

وفى سفر التكوين أيضاً بالإصحاح الثانى والعشرين قصة يعقوب عندما جاءه الله فى صورة رجل وتصارعا من الليل إلى الفجر : «فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر» .

وفى سفر الخروج ٥/٢٢ ـ ٢٣ يوجّه موسى إلى الله اللوم والتأنيب : «لماذا أسأت إلى هذا الشعب ؟ لماذا أرسلتنى فإنه منذ دخلتُ إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص .. شعبك» .

وفى سفر الخروج ١٥/٣ يصف موسى ربه قائلاً :

«الرب رجل الحرب» .

ويبدو إله العبرانيين لهم فى صورة عمود سحاب نهاراً وعمود نار

ليلاً كما يذكر سفر الخروج (٢٢/١٣) .

ويصف الخروج ١٥/١٠ و ٣٥ رب إسرائيل بارتكاب الخطأ . وبشعوره بخطئه . وبندمه عليه : «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً : ندمت على أنى جعلت شاول ملكاً» و «الرب ندم ، لأنه ملَّك شاول على إسرائيل» .

وفى سفر الخروج ٧/٣٢ ـ ١٤ حوار بين موسى والرب ، فيقول الرب لموسى : «اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم» فيتضرع موسى إليه قائلاً : «لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ، ويفنيهم على وجه الأرض ، أرجع عن حموِّ غضبك وأندم على الشر بشعبك» .

وعندما يقرر إلَه إسرائيل ضرب المصريين يخشى أن يغلط فتقع ضربته على أحد من شعبه فيأمرهم أن يضع كل منهم علامة اتفق معهم عليها وقال لهم ـ كما يذكر سفر الخروج ١٢/١٢ ـ ١٣ و ٢١ ـ ٢٣ : «إنى أجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم ، وأضع أحكاماً بكل آلهة المصريين ، أنا الرب ، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم ، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر»[١] .

ويحدد لهم إلَههم الموضع الذى يلطخونه بالدم حتى لا يغلط

---

(١) الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج . الفقرة ٧ .

قائلاً[1] «ويأخذون الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا إلخ» .

ويأمرهم ربهم بسلب المصريين وسرقة أموالهم كما يذكر الإصحاح الثالث من سفر الخروج قائلاً : «وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين» .

ويعترف سفر الخروج ١٢/٢٥ ـ ٢٦ بتنفيذ عملية السرقة والسلب قائلاً : «طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً ، وأعطى الرب نعمة فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين» .

وفى صموئيل الأول ٣/١٥ يأمرهم قائلاً : «اقتل رجلاً وامرأة ، وطفلاً ورضيعاً ، بقراً وغنماً ، جملاً وحماراً» .

وفى سفر العدد ٧/٣١ ـ ١٨ : «تجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر ، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم ... وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم ، وأحرقوا جميع مُوَنهم بمساكنهم» .

وفى سفر التثنية ٣٢/٢ ـ ٣٥ و ٣/٣ ـ ٦ : «وأخذنا كل مدنه ... وحرَّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نُبْقِ شارداً ... فدفع الرب إلّهنا إلى عوج ملك باشان وجميع قومه ، فضربناه حتى لم يبق له شارد ، وأخذنا كل مدنه ... ستون

(١) الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج ، الفقرة ٧ .

مدينة ... فحرمناها كما فعلنا بسيحون ملك حشبون ، محرمين كل مدينة الرجال والنساء والأطفال» .

هذه نتف من أسفار اليهودية تصور إلهها الذى أمر أتباعه اليهود بقتل الأطفال والرضَّع والشيوخ والنساء ، وفى صموئيل الأول وغيره قتلوا رجال الدين المنقطعين للعبادة ، وأبادوا كل شيء : الناس والحيوان والمدن والقرى ، وتفتخر الديانة اليهودية بتحريم المدن ، والتحريم : القتل الذى لا يبقى ولا يذر فى إصطلاح التوراة ، وتفننوا فى القتل والإحراق إلى حد لا حدَّ بعده .

وإله اليهود «يهوه» كما تصوره التوراة «رجل حرب» ومتعطش للدماء ، ويتلذذ برائحة الشواء ويتجسد ويتشكل بأشكال الرجال ، ويأكل ويشرب ، وبشكل عمود سحاب وعمود نار ، ويأمر بالاحتيال والسرقة والنهب والقتل والإبادة ، حتى الأطفال والرضّع لم ينجوا من «يهوه» وبطشه .

وإذا كان إلههم «يهوه» على هذه الصورة فإن رسلهم ابتداء من أبى الأنبياء إبراهيم إلى موسى وهارون مطعونون فى كتبهم المقدسة فى شرفهم وكراماتهم وأخلاقهم ودينهم ، ويتهمون بعضهم بالزنا ، حتى أن داود زنا بزوجة المجاهد أوريا الحثى ، ولما أراد ربهم الانتقام من داود سلّط ابنه أبشالوم يزنى بنساء أبيه على مشهد من بنى إسرائيل ، بل يعاقب «يهوه» رب اليهود على الزنا بزنا أبشع : زنا المحارم .

ويكمل التلمود أو يضيف إلى التوراة مافاتها ذكره ، فيأمر التلمود كتابهم الأكثر قداسة من التوراة بأن يسرفوا فى الشر والعدوان على البشر دون استثناء ، وها هى ذى فقرات من

التلمود :

«اليهود بشر لهم إنسانيتهم ، أما الشعوب والأمم الأخرى فهى حيوانات» .

«اليهود من جوهر الله ، كما أن الولد من جوهر أبيه» .

«لولا اليهود لامتنعت البركة عن الأرض ، وانقطع المطر ، واحتجبت الشمس ، لذلك لا تستيطع شعوب الأرض الحياة بغير اليهود» .

ويتفق التلمود مع التوراة فى اختصاص الشعب اليهودى باختياره وحده لأنه من جوهر الله .

وإذا كانت التوراة تجعل «يهوه» الإله المسيطر الذى له الأمر والنهى والحكم فإن التلمود قد هبط به ورفع عليه أفراداً من اليهود هم الحاخامون ، وحكم التلمود على التوراة بالهبوط عنه ، وانتزع منها القداسة وعلو المرتبة ، وها هى ذى فقرات من التلمود الأصيل :

فى سفر روبين ٢١ حرف ب من التلمود : «احذر يا بنى ، يقول الحاخام رابا : واتبع التلمود لا التوراة ، فالتوراة تتضمن أحكاماً لا تستوجب مخالفتها الموت ، وأما من يخالف حرفاً مما جاء فى التلمود فالقتل عقابه ، ومن يهزأ بكلمة من كلمات التلمود يغمس فى الغائط ، ويساق فيه حياً إلى أن يموت فيه» .

وفى سفر مجيلا ٢١ من التلمود : «إن الله يدرس التلمود منتصباً على قدميه» .

وفى سفر بيراشون ٧ حرف أ : «دخلتُ قدس الأقداس فرأيت

الله جالساً على كرسى مرتفع فقال لى : باركنى يا بنى ، وإذ باركته شكرنى وسلم وانصرف» .

وفى سفر باباتيرا ٧٥ حرف أ : «الحاخامون يصبحون جميعاً آلهة ، ويُدْعَوْن يهوه أى الله» .

وفى سفر مويدقنان ١ حرف أ : «للحاخامين السيادة على الله ، وعليه إجراء ما يرغبون فيه» .

وفى سفر بابامزيا ٨٦ حرف أ : «إذا احتدم الخلاف بين الحاخامين» .

فيهوه الذى كان له التفرد بين الآلهة قد هبطت مكانته إلى حد ارتفاع الحاخامين عليه فى المكانة ، فكل منهم يهوه ويهوه خاضع لهم ، وينفذ الأمر الذى يريدون ، وإذا اختلف معهم فالحق معهم وليس معه ، بل صرح سفر مويدقنان من التلمود أن للحاخامين السيادة على يهوه إلههم المعبود .

وعقيدة اليهود التى جاءت فى التوراة والتلمود وأسفارهم المقدسة فى «الله» عقيدة شاذة ومغرقة فى الوثنية ، وللقارىء أن يحكم عليها من أصح النصوص التى جاءت فى كتبهم المقدسة .

وأما عقيدتهم فى رسلهم فقد أشرنا إليها ، وكلهم طعين من قبلهم طعناً يسقط العدالة والشرف والإنسانية والكرامة والنبوة .

وأما عقيدتهم فى المسيح عليه الصلاة والسلام وفى أمه الصديقة الطاهرة عليها السلام فشىء لا يتصوره عقل ولا يقبله ويشمئز منه ويأباه ويحتقره .

ونعود إلى التلمود الذى يقف ربهم منتصباً على قدميه ليدرسه

كما يدعون أو يدعى تلمودهم نفسه لنستشهد به ، فهو الشاهد الذى لا يكذب عليهم.

يقول التلمود فى يسوع (عيسى) ما نصه : «يسوع الناصرى (أى عيسى عليه الصلاة والسلام) ابن غير شرعى ، حملته أمه وهى حائض سفاحاً من العسكرى باندادرا ، وهو كذاب ، ومجنون ، ومضلِّل ، وساحر ، ومشعوذ ، ووثنى ، ومخبول» .

و«مات يسوع كبهيمة ، ودفن فى كومة قذر» .

وإذا كانت عقيدة اليهود كما يفصح عنها تلمودهم فى المسيح عليه الصلاة والسلام فإن عقيدة اليهود فى الديانة المسيحية وفى الأناجيل ورجال الدين المسيحى وفى الراهبات والمسيحيين غاية فى النكر والباطل ، وها هى ذى فقرات من تلمودهم :

«الديانة المسيحية ديانة غريبة وثنية ، وهى كالمرأة النجسة ، تلوث كل من يتصل بها» .

ويقول التلمود عن الأناجيل : إنها سجلات الشر ، والصلوات المسيحية خطايا وآثام ، وأعياد المسيحيين كارثة وهلاك وأيام الشيطان .

ويصف التلمود الكنائس بأن الكنيسة بيت الباطل ، وبيت الوثنية ، وبيت الشيطان ، وقاذورات .

ويزخر التلمود بشتم المسيح والأناجيل والكنائس والمسيحيين جميعها ، ومما جاء فيه :

«أتباع يسوع يُطْرَحون بعيداً كما تُطرَح خرق حيض المرأة» .

و «وكل المسيحيين عبدة أوثان ، وثنيون ، وقتلة ، فسقة :

إنهم «حيوانات» قذرة ، إنهم كالغائط ، إنهم بهائم ، حمير ، خنازير ، كلاب ، بل أسوأ من الكلاب ، يتناسلون بطريقة أحط من البهائم» .

و «الوثنيون (المسيحيون) يُوَسِّخون العالم ، لأن أرواحهم خرجت من الشق النجس» .

و«من الشق النجس تخرج أرواح المسيحيين» .

و«القديسون مخنثون ، والقديسات مومسات» .

والعذراء عليها السلام مدعُوَّة من قبل اليهود فى التلمود بكلمة شاريا Charia ومعناها فى الألمانية : غائط . رَوْث .

ويقول التلمود ما نصه الحرفى مترجماً بدقة : «يسوع الناصرى فى لجج الجحيم بين القار والنار ، وحملته أمه من «باندارا» العسكرى سفاحاً ، والكنائس المسيحية قاذورات ، وأساقفتها كلاب نابحة ، وقتل المسيحى فريضة على اليهود ، والعهد مع المسيحى ليس عهداً ملزماً يجب الوفاء به ، وفرض على اليهودى لعن رؤساء المسيحية» .

ومن نصوص التلمود فيما يتصل بالإنسانية والأخلاق والتعامل فيما بين الناس ما نضيفه إلى ما مضى مما جاء فى التلمود والتوراة ، تكملة للصورة الحقيقية للعقيدة اليهودية ، وها هى ذى فقرات من التلمود ومثلها فيه كثير :

«الرحمة محرمة على الوثنى» ـ كما هو معروف عند اليهودى وكتبه المقدسة غير اليهودى .

و«إذا وجدت أجنبياً فى حفرة فسدَّها بحجر» وهذا يمنع أى

أمل فى نجاته .

و«استيلاء اليهود على ما يملكه القويم حق ، وعمل تصحبه المسرة الدائمة» .

و «كل ما فى ملك القويم إنما هو حق اليهودى» .

و «ملعونة كل الشعوب ، ومبارك شعب اليهود» .

و«إذا أحرق يهودى معبداً للقويم أو دمَّره فذلك عمل صالح ، وأعظم من هذا فريضة مقدسة على كل يهودى أن يقوّض كل معبد للقويم من أساسه ويلعنه» .

و«كل النساء غير اليهوديات مومسات» .

و «من قتل غير يهودى فقد قدم قرباناً للرب» .

و «إن الرابى صموئيل كان رأيه أن سرقة الأجانب حلال ، وقد اشترى هو نفسه من أجنبى آنية من الذهب كان يظنها الأجنبى نحاساً ودفع له ثمنها أربعة دراهم ، وهو ثمن بخس ، وسرق درهماً من البائع» .

والأوامر والنواهى التى نجدها فى الديانات حتى الوثنية أوامر ونواه يقصد منها الخير ، مثل : أكرم الضيف ، وساعد المحتاج ، وابذل الخير إلخ ، ومثل : لا تسرق ، ولا تزن الخ ولكن التلمود حوَّلها من استقامتها إلى الاعوجاج ، ومن صلاحها إلى الفساد ، فصارت الأوامر هكذا : أكرم الضيف إذا كان يهودياً ، أما إذا كان غير يهودى فلا وساعد المحتاج إذا كان يهودياً ، فإذا كان غير يهودى فلا ، وابذل الخير لأخيك اليهودى ، وإذا كان غير يهودى فقدم له الشر .

وأما النواهى فصارت فى التلمود هكذا : لا تسرق من يهودى ، أما غير اليهودى فاسرقه ، ولك بذلك المثوبة ، ولا تزن يهودية ، أما بغير اليهودية فحلال .

وديانة هذه عقيدتها وشريعتها غاية فى الهدم والباطل ، وما نقول بصلاحها ولو لفريق من الناس ، لأنها وباء يجب التخلص منه ، لأن خطر الوباء على غير المصاب .

ولم يدَّع اليهود أن ديانتهم صالحة للإنسانية ، وإنما قصروها على أنفسهم ، وحجروها عن غيرهم ، لأنهم مؤمنون بأن ديانتهم خاصة بهم وهى لا تصلح ، لأنها ـ كما قلنا ـ وباء غاية فى الخبث والشر ، ويجب كفاح الوباء وحصره ثم القضاء عليه إنقاذاً للإنسانية كيلا تصاب به ، وتحيا آمنة مطمئنة تنعم بالأمن والصحة والسلامة .

وثبت مما سبق ذكره أن اليهودية ديانة حاقدة على الإنسانية كلها بدون استثناء ، حتى الأطفال الرُّضَّع ، والشيوخ العجَّز ، والنساء الحبالى من غير اليهود محقود عليهم من اليهود شر الحقد . ولا يسلم من حقدهم الأجنة فى بطون الأمهات .

بل بلغ بهم الحقد أن كتبهم المقدسة وأولها التوراة ثم التلمود يأمرانهم أمراً إلهياً بأن يقتلوا كل الناس رجالاً ونساء وأطفالاً وشيوخاً ورُضَّعاً وأجنة . وأن يدمروا مدن الناس ، ويذبحوا كل ما يملكون من حيوان ، ويحرقوا مزارعهم ، ويهدموا بيوتهم ، حتى لا يبقى حى من إنسان أو حيوان ، أو عمران .

تلك هى الديانة اليهودية الحاقدة التى ثبت فى كل عصورها خطرها على الإنسانية كلها ، وعجيب من المسيحيين ودولهم تأييد

اليهودية ، ومدُّها بكل أسباب القوة والسيطرة ، مع أن اليهودية أعدى أعداء المسيح والمسيحيين . وقد لقوا من اليهود كل ضروب التحقير والإذلال والباطل .

الديانة المسيحية

وأما الديانة المسيحية فإن المسيح عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى اليهود ، وقد حدد هو نفسه رسالته ومن بعث إليهم ، فهو عبرانى مبعوث إلى اليهود دون غيرهم .

ولا شك أن المسيح من خير البشر خُلُقاً ، وندر فيهم مثله ، ونحن المسلمين لا نقول : إنه يهودى ، وإن كان رسولاً إلى اليهود ، وقد أخرجه الله منهم برسالته .

ومنذ بدأت العقيدة اليهودية وهى عقيدة خاصة كما تقول التوراة وكل أسفار اليهود المقدسة ، فهى وقف على العبرانيين محصورة فيهم وحدهم ، وأخذت على مر السنين تضيق بمن أرسلت إليهم حتى انحصرت فى داود الذى لم يستطع مؤلفو قاموس الكتاب المقدس ــ إخفاء ما فى ضمائرهم فذكروا فى شىء من الخجل قصته مع امرأة أوريا الحثى .

وفى أسفار اليهود المقدسة أن المخلّص الذى سيكون على يديه خلاص اليهود سيكون من نسل داود ، ومايزال اليهود حتى هذا اليوم يحلمون بما كان آباؤهم منذ ألفى سنة يحلمون به ، فقد جاء فى خاتمة بروتوكولات مشيخة صهيون وهو البروتوكول الرابع والعشرون : «هآنذا مفصح لكم اليوم عن الأسلوب الذى نغرس

فيه أصول سلالة الملك داود لتستمر إلى آخر الدهر»[١] .

ومنذ ألفى سنة كان اليهود ينتظرون المخلّص من نسل داود ، بل كان اليهود ينتظرونه قبل الميلاد بقرون ، ولما ظهر لهم من نسل داود المخلص يسوع دعاهم إلى الحق فلم يؤمنوا به .

وتختلف الديانات الثلاث فى تحديد شخصية المسيح ، فاليهودية تكفر به ، وتعده خارجاً عليها ، والمسيحية الأولى كان قوامها تصحيح اليهودية حتى تطورت المسيحية تطوراً خطيراً بعد بولس ، ثم أخذ التطور أو التغير حتى صار المسيح الله الإبن ، وافترقت فرقاً .

أما الإسلام فيعترف بأن المسيح رسول الله حقاً ، وأمه صدّيقة عذراء ، ودعوته توحيد محض ، وليس فى البشر وغيرهم من الخلق ـ وإن كان رسولاً أو ملكاً ـ شىء من الألوهية ، لأن التفرقة بين الخالق والمخلوق فى كل شىء أمر طبيعى ، فلا المخلوق يصعد إلى عرش الخالق ليكون شريكه ، ولا الخالق العظيم بنازل إلى درجة المخلوق ، لأن ذلك غير متفق مع كمال الله المطلق .

فالله جل جلاله وتباركت أسماؤه واحد أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفُوًا أحد .

فعيسى فى الإسلام عبد الله ورسوله ، واختيار الله إياه بالرسالة جعله من ذوى العصمة .

هذا قول الإسلام فى عيسى ، وهو قول يتفرد به عن اليهودية والمسيحية .

---

(١) بروتوكولات صهيون ، ترجمة أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثالثة ، بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

وبعثة المسيح تأتى فى إبّانها ، فقد قضت اليهودية على ديانة موسى بالجمود والجحود ، وصار المسؤولون عنها من الكهان غرقى فى المادة ، فبعث الله عيسى ليعيد إلى اليهودية ما أفقده إياها حاخاموها ، فهو مبعوث إلى اليهود دون غيرهم ، والبرهان على ذلك أن فلسطين فى عهده كانت تابعة للرومان ، وفيها رومان وفلسطينيون وذوو ديانات مختلفة ، فلم يتجه إليهم بالدعوة ، وإنما قصرها على اليهود ، وهو نفسه عليه السلام قد حدد من أرسل إليهم .

ففى إنجيل متى ٢١/١٥ ـ ٢٨ : « ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : أرحمنى يا سيد ، يا بن داود ، ابنتى مجنونة جداً ، فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : لم أرسل إلّا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، فأتت وسجدت له قائلة : يا سيد ، أعِنِّى ، فأجاب وقال : ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ، فقالت : نعم يا سيد ، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها ، حينئذٍ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة ، عظيمٌ إيمانك ، ليكن لك كما تريدين ، فشفيت من تلك الساعة» .

فى هذه الفقرة يحدد المسيح رسالته ، ولم يجب المرأة المستغيثة ، لأنها كنعانية ، وهو لم يرسل إلى الكنعانيين ، ولما ألح تلامذته عليه واستغاثت المرأة امتنع عن إغاثتها ، وحدد من أرسل

إليهم ، واعتذر عن أن يجيبها إلى طلبها ، فلما أعادت سؤاله أعاد عليها امتناعه بجواب آخر حيث ضرب لها المثل بخبز البنين لا يصح أن يعطيه غيرهم ، وشبههم بالكلاب فردت عليه رداً أرضته به عندما ذكرت له أن للكلاب نصيباً فى الفتات الساقط من الخبز من أربابها ، فأعجبه ردها ، وأثنى على عظيمِ إيمانها ، وأجابها وشفى لها ابنتها .

وفى انجيل متى ١٠/٥ ـ ٦ : «هؤلاء الاثنا عشر ذلك غير متفق مع كمال الله المطلق .

فالله جل جلاله وتباركت أسماؤه واحد أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفُواً أحد .

فعيسى فى الإسلام عبدالله ورسوله ، واختيار الله إياه بالرسالة جعله من ذوى العصمة .

هذا قول الإسلام فى عيسى ، وهو قول يتفرد به عن اليهودية والمسيحية .

وبعثة المسيح تأتى فى إبّانها ، فقد قضت اليهودية على ديانة موسى بالجمود والجحود ، وصار المسؤولون عنها من الكهان غرقى فى المادة ، فبعث الله عيسى ليعيد إلى اليهودية ما أفقده إياها حاخاموها ، فهو مبعوث إلى اليهود دون غيرهم ، والبرهان على ذلك أن فلسطين فى عهده كانت تابعة للرومان ، وفيها رومان وفلسطينيون وذوو ديانات مختلفة ، فلم يتجه إليهم بالدعوة ، وإنما قصرها على اليهود ، وهو نفسه عليه السلام قد حدد من أرسل إليهم .

ففى إنجيل متى ٢١/١٥ ـ ٢٨ : «ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» .

فالمسيح يحدد من يدعوهم ، ويمنع تلامذته من دعوة غير اليهود ، وليس استجابة المسيح للكنعانية بناقضة رسالته الخاصة ، لأنه ليس من الحتم ألا تصيب الكلابُ من الفتات ، ولم يدع الكنعانية إلى اتباعه بعد أن رأت المعجزة وشفيت ابنتها ، ولو دعاها لأجابته ، ولكنه لم يدعها ، لأنه يعرف أن رسالته خاصة باليهود .

وظن بعض الباحثين أن مثل المسيح الذى ضربه بوليمة العرس التى لم يلبها المدعوون ، وأمر الداعى عبيده بجمع من يجدوهم فى الطريق من غير أولئك المدعويين برهان على شمول الدعوة غير اليهود ، لأن حضور الوليمة كانوا من غيرهم .

والمثل الذى ضربه المسيح لم يكن لرسالته ولا ينطبق عليها ، وقد جاء المثل فى إنجيل متى ١/٢٢ ـ ١٤ : «وجعل يسوع يكلمهم أيضاً بأمثال قائلاً : يشبه ملكوت السماوات إنساناً ملكاً صنع عرساً لإبنه ، وأرسل عبيده ليدعوا المدعويين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا ، فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلاً : هو ذا غدائى أعددته ، ثيرانى ومسمناتى قد ذبحت ، وكل شىء مُعَدٌّ ، تعالوا إلى العرس ، ولكنهم تهاونوا ومضوا ، واحد إلى حقله ، وآخر إلى تجارته ، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم ، فلما سمع الملك غضب

وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم ، ثم قال لعبيده : أما العرس فمستعد ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين ، فاذهبوا إلى مفارق الطرق ، وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس ، فخرج أولئك العبيد إلى الطرق ، وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين ، فامتلأ العرس ، الخ» .

وليس فى هذا المثل الذى ضربه المسيح برهان على أن المسيح نفسه هو المرسل إلى غير اليهود ، فالمقصود بالملك الداعى هو الله الذى أرسل عبيده ـ أى أرسله ـ فلم يستجب المدعوون للدعوة ، فأعاد بعث عبيد غير الأولين فقتلهم المدعوون ، فأرسل جنوده وهم غير العبيد ، ينتقمون للقتلى ، وبعد ذلك أرسل عبيده إلى مفارق الطرق فجمعوا الناس وامتلأ بهم العرس .

فهو من المرسلين فى الدفعة الثانية ، فقتلهم المدعوون ، وقد قتل اليهود المسيح ـ كما زعموا هم والمسيحيون فى أسفارهم المقدسة ـ فانتقم الله بقتلهم .

وقد انتهت رسالة المسيح ومن أرسل إليهم بقتلهم وإحراق مدينتهم جزاءً وفاقاً على قتلهم الرسل .

ولن يترك الله الناس بدون رسل فأرسل رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام إلى الأمم ، وليس لأمة خاصة ، ودليل ذلك جمعُ من فى مفارق الطرق ، وهم من مختلف الأمم .

وسواء أكان المسيح رسولاً إلى اليهود أم إليهم وإلى غيرهم فإن شيئاً من فقدان صلاح المسيحية لأن تكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة لن يتغير .

فالمسيح لم يبعث ليغيّر شريعة قومه اليهود ، بل جاءهم ليكمل ، وها هوذا متى يقول فى إنجيله (١٧/٥ ـ ١٨) على لسان المسيح : «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأكمل ، فإنى الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» .

وشريعة اليهود التى جاء المسيح لتأييدها وإكمالها لا تصلح لأن تكون شريعة الإنسانية ، كما أن عقيدتهم غير صالحة لها ، فاليهود احتكروا إلهم كما احتكرهم ، فيهوه إله اليهود الخاص لا يشركه فيه غيرهم ، وكذلك شريعتهم وقف عليهم دون سواهم .

فالديانة اليهودية بعقيدتها وشريعتها لا تصلح لأن تكون دين الإنسانية .

والمسيحية التى لم تأت لنقض ناموس موسى خالية من الشريعة ، لأنه لا شريعة لها ، فشريعتها هى شريعة موسى ، وهذه ـ كما قلنا ـ غير صالحة للبشرية لا عقيدة ولا شريعة ، لأنها شريعة شاذة .

وإن أصحابها اليهود قصروها على أنفسهم ومنعوها عن غيرهم من البشر .

وسواء منعوها أم لم يمنعوها فديانة اليهود يهودية مثلهم . فهى ـ عقيدة وشريعة ـ لا تصلح للإنسانية أبداً .

الثالوث فى المسيحية والديانات الوثنية

ثالوث المسيحية : الله الأب ، والله الابن ، والله روح

القدس ، وهو اعتراف بالشرك ، وقد سبقته ديانات أقوام تقوم على ثالوث ، مثل : البرهمية التى تقوم على ثلاثة أقانيم : براهما ، وفشنو ، وسيفا .

ونجد الثالوث نفسه فى ديانات بابل وآشور ومصر وغيرها ، بل نجد الثالوث المسيحى كما هو بأسمائه وأقانيمه فى ديانة المكسيك الوثنية ، وقد اكتشف قسيس مسيحى عندما دخل المسيحيون المكسيك ثالوث ، ولم يدَّع هذه الدعوى عليهم عدوُّهم ، وإنما كان مكتشف الثالوث المكسيك أحد أقطاب المسيحية المخلصين .

يقول اللورد كنجسبرو Kingsborough فى كتابه «الآثار المكسيكية القديمة» Antiquities of Mexico المجلد الخامس صفحة ١٦٤ :

«والمكسيكيون يعبدون إلّهاً مثلث الأقانيم ... ولما عُيِّن بروتولوميو مطراناً سنة ١٤٤٥ أرسل القس فرنسيس هَرْمنديز إلى المكسيك ليبشِّر بين الهندوس بالديانة المسيحية ، وكان هذا القس يجيد لغتهم ، وبعد مضى سنة من ذهابه أُرسل إلى المطران برثولوميو رسالة قال له فيها : «إن الهندوس يؤمنون بآله فى السماء مثلث الأقانيم ، وهو الله الأب ، والله الابن والله روح القدس ، والثلاثة إله واحد ، واسم الأب : بزونا ، واسم الابن : باكاب ، وهو مولود من عذراء ، واسم الروح القدس : نايكيهيا»[1] .

ويقول كنجسبرو فى الصفحة السابقة نفسها : «ويعبدون إلّهاً

---

(١) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ، تأليف محمد طاهر التنير ، صفحة ٣٤ طبع بيروت ، سنة ١٣٣٠هـ .

اسمه «يقولون عنه : إنه واحد وثلاثة أقانيم» .

ويقول العلامة نايت Knight فى كتابه «اللغة الرمزية للفنون القديمة والأساطير[1]» صفحة ١٦٩ : «وسكان جزائر الأقيانوس عبدوا إلّها مثلث الأقانيم ، ويقولون : الإله الأب ، والإلّه الابن ، والإلّه روح القدس ، ويصورون روح القدس على هيئة طير» .

وهناك عشرات القبائل الوثنية يؤمنون بإلّه مثلث الأقانيم ، وهذه ، القبائب فى آسيا وأوروبا وإفريقيا وأمريكا .

وقد سبق الثالوث فى عشرات الديانات الوثنية الثالوث المسيحى ، وكل ما فى المسيحية من عبادات وطقوس وشعائر موجودة فى الديانات الوثنية التى سبقتها ، وصفات المسيح كما ترويها الأناجيل والمصادر المسيحية موجودة فى تلك الديانات التى نجد فيها أيضاً اسم أم المسيح نفسه وصفاتها .

وفى كتاب «أساطير التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى» الذى ألفه العالم المسيحى الكبير «دوان» ذكرٌ مفصل لأساطير التوراة والأناجيل التى سبق وجودها فى الديانات الوثنية ، وافتتح «دوان» كتابه بآية من القرآن الكريم وهى **﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾** واستشهاده بالآية الكريمة رد على من اعتقدوا التثليث .

وذكر «دوان» فى كتابه وجود الثالوث فى ديانات الهند والصين ومصر وبابل وغيرها فى تفصيل أثبت فيه أن ثالوث المسيحية مسبوق

---

(١) The Lymbolical Languge of Ancient art and Mythology.

بثالوث الديانات الوثنية التى سبقتها .

وعشرات من علماء المسيحية وأقطابها مثل «دوان» ذكروا سَبْق الوثنيات القديمة المسيحية فى الثالوث ، مما يثبت أن المسيحية أخذت عقيدة الثالوث من تلك الديانات .

وهؤلاء العلماء المسيحيون غير متهمين ، ولكنهم ذكروا ما هو حق ، وأرادوا أن يثبتوا أن المسيحية التى تصورها الأسفار المقدسة لديهم إنما هى ديانة وثنية مقتبسة من الوثنيات القديمة .

وكل صغيرة وكبيرة فى المسيحية مأخوذة من الديانات الوثنية القديمة ، وانقلبت المسيحية من توحيد حق إلى دين وثنى محض ، وما يعرف بالمسيحية ليس الدين الحق الذى جاء به عيسى من عند الله ، وإنما هو دين كوَّنه بولس الذى نقض المسيحية نقضاً ، ثم هدمه من جاءوا بعده هداماً ، ويعترف أكابر الباحثين من علماء المسيحية وكتَّابها وفلاسفتها ورجال الدين المبرزين بما حلَّ بالمسيحية من تغير شامل ، كما يعترفون بما دخل فيها من الوثنية .

يقول الكاتب المشهور جورج برناردشو : «إن القس الشهير «دين إنج» قال : لقد شوه بولس تعاليم راعينا حتى لكأنه صلبه مقلوباً برأسه إلى أسفل» .

ويقول العالم البريطانى المعروف ويلز : «أوتى بولس قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات عصره الدينية ، فكان على علم واسع باليهودية وبديانة مترا وديانة الاسكندرية ، فنقل إلى المسيحية كثيراً من معتقداتهم ومصطلحاتهم ، ولم يهتم بما جاء به عيسى من فكرة ملكوت السماوات» .

ويقول بيرى Berry فى كتابه «ديانات العالم» Religions of the World : «بعد صلب المسيح ذاب أتباعه واختفت دعوته ، ولم يعد أحد يسمع شيئاً عن هذه الدعوة» .

ويقول : «كان عيسى يهودياً ، وقد ظل كذلك أبداً ، ولكن بولس كوَّن المسيحية على حساب عيسى ، فبولس فى الحقيقة مؤسس المسيحية ، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليها عامتهم ، كما أدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلّص وسيد استطاع الجنس البشرى بوساطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التى قال بها بولس كانت مشهورة عند كثير من الفرق ، فانحاز أتباعها إلى ديانة بولس ، وعمد ــ إرضاء لمثقفى اليونان ــ إلى أن يستعير من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف فيلون اتصال الإلّه بالأرض عن طريق الكلمة The Lagos أو ابن الإلّه» .

وهناك فلاسفة مسيحيون وكتاب وأدباء وشعراء وأساتيذ جامعات ذهبوا إلى ما ذهب إليه شو وإنج وويلز وبيرى ، وقرروا جميعاً أن المسيحية ليست ديانة عيسى ، وإنما هى ديانة بولس لفقها من مختلف الديانات الوثنية والفلسفات فى عصره .

وإذا كان القدماء من المسيحيين قد اختدعوا بديانة بولس على أنها مسيحية المسيح فإن اختداع المسيحيين فى القرن العشرين مثار عجب ودهشة ، فالتقدم الحضارى لم يُعِنْهم على فهم الحقيقة التى كشفها لهم أقطاب المسيحية المعاصرون .

وسواء لدينا إذا كانت المسيحية ديانة عيسى أم اختراع بولس ،

فالحكم واحد لن يتغير ، فالمسيحية التى تصورها أسفارهم المقدسة قد حبسها المسيحيون فى الكنيسة ، ولا شأن لها بنظام البشر ومعاملاتهم ، وقديماً نسبوا إلى المسيح أنه قال : أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، وهو حكم على المسيحية بالعزلة التامة عن الحياة والسوق .

وهم أنفسهم قد حكموا على فقدانها الصلاح لأن تكون دين الإنسانية جمعاء ، ونحن نوافقهم على هذا الحكم ونزيد فنقول : إن المسيحية لا تصلح لأن تكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة ، لأن العقيدة المسيحة تحولت على يد بولس إلى ديانة وثنية ملفقة من وثنيات وفلسفات مختلفة .

ولا تصلح للبشرية ديانة وثنية تقوم على الشرك ، بل لا بد للديانة التى يُراد لها أن تكون للبشرية كلها أن تكون ديانة صحيحة تقوم على إفراد الله بالعبادة ، وأن تحوى مع العقيدة شريعة فاضلة كاملة تنتظم كل بنى الإنسان فى حاضره ومستقبله .

وبعد هذه الرحلة فى عالم الديانات ننتهى إلى الحكم بفقدانها الصلاح لأن يكون دين منها صالحاً لأن يكون دين البشرية كلها ، لأن واقع تلك الديانات هو الحكم العدل عليها بفقدانها الصلاح ، بل إن أهل كل ديانة قائمة قد حكموا عليها بذلك ، فهم أنفسهم يؤمنون أن دياناتهم خالية من الشريعة فأوجدوا لهم شرائع حكَّموها فى حياتهم ومعاملاتهم .

الإســــلام

لم يبقَ من كل الديانات غير دين الإسلام ، فهل يصلح لأن

يكون دين الإنسانية عقيدة وشريعة ! وإذا كان صالحاً فما برهان صلاحه ! .

يقول الله تبارك وتعالى فى رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكنْ رسولَ الله وخاتمَ النبيين**﴾[1] .

ومعنى «خاتم النبيين» : آخرهم ، وزعم بعض الناس أن المقصود بخاتم النبيين زينتهم ، وقصدوا نفى الختام بمحمد ﷺ ، وهو افتراء على القرآن ، لأن من نزل عليه قال : «لا نبىَّ بعدى» وفهم الصحابة من لغة القرآن ومن نبيِّهم المصطفى أن الخاتم هنا بمعنى الختم ، ختم الله بنبيه محمد رسالات السماء ، فلا نبى بعده ، ولا رسول يعقبه .

وأيَّد الواقعُ ذلك ، فلم يظهر أنبياء ، وإن ظهر بعض مدعى النبوة الذين ظهر كذبهم ، واعترفوا هم أنفسهم بذلك .

والإسلام خاتم الأديان ، وناسخ كل دين سبقه ، فلا يقبل من أحد بعد ظهور محمد ﷺ أن يتعبد الله بغير دين الإسلام .

وعقيدة الإسلام توحيد حق ، وتنزيه مطلق للخالق عز وجل ، لا شريك له ، ولا ولد ، ولا صاحبة ، ولا ند ، ولا مثل .

وهذا تنزيه وتوحيد لا نجدهما فى كل الديانات القائمة ، بل وفى كل الفلسفات أما الديانات السماوية : ديانة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى فهى فى حقيقتها ديانات توحيد ، مثلها مثل الإسلام فى

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٠ .

العقيدة .

وتوحيد الإسلام والديانات السماوية غير المحرّفة التى سبقت مثل ديانة نوح وإبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل الكرام توحيد صحيح لا يعترف بكل الآلهة التى اخترعها البشر ، لأنها آلهة باطلة صنعها عُبَّادها ، فتوحيد اليهودية ليس توحيداً صحيحاً مطلقاً ، وإنما هو توحيد بالنسبة لليهود وحدهم ، فإلههم «يهْوَهْ» واحد ، ووحدانيته تأتى من تخصيصهم إياه لأنفسهم ، والاعتراف بأنه ربهم الذى يعبدونه وحده دون سواه .

فيهْوهُ رب اليهود وحدهم ، ولا يشاركه فيه غيرهم ، كما لا يشارك الولدَ فى أبوة أبيه من لم يكن أخاه حقاً وصدقاً ، و «يهوه» نفسه لا يعترف بشعب سوى شعبه المختار الذى احتكره لنفسه كما احتكره شعبه .

أما الشعوب الأخرى فلهم آلهتهم ، ولا شأن لليهود بهذه الآلهة وإن كانوا يعترفون بها كما تعترف الأسرة بالأسرة الأخرى ، والدولة بغيرها من الدول .

وهذا التوحيد اليهودى توحيد باطل ، لأنه يعترف بآلهة الآخرين وإن كان لا يدين بها ولا يعبدها .

ومجرد الاعتراف بآلهة الآخرين شرك يخرج توحيد اليهودية من حظيرة التوحيد الحق الصحيح ، ليبقى الإسلام وحده الدين المتفرد بالتوحيد الحق لا يقبل الشريك ولا يعترف به ، ويكفِّر من يدين بغير الله عزَّ وجلَّ .

ولم يبق من كل الديانات غير دين الإسلام ، وسنبحث أمره كما فعلنا مع غيره لنرى أهو صالح لأن يكون دين الإنسانية ! .

القرآن الكريم كتاب الإسلام المقدس يذكر أن دين كل رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام هو الإسلام ، ولكن دين محمد هو الذى عرف به ، فإذا أطلق الإسلام عرف به دين محمد عليه الصلاة والسلام .

ووحى الله تبارك وتعالى يشمل القرآن الكريم والحديث النبوى ، والقرآن كلام الله الحق ، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على رسول الإسلام محمد ﷺ ، وكل ما جاء فى القرآن حق ، والحديث النبوى الشريف كلام محمد ، وكله حق ، مثله مثل القرآن ، لأن محمداً لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلَّا وحى يوحى كما قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه .

وقد قال الله جل جلاله فى محكم كتابه : ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ وقال : ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقْبَل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾ .

وقد جاءت الآيات البينات المحكمات فى كتاب الله تشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن الله وملائكته يصلون عليه ، والمؤمنون مأمورون بالصلاة على محمد ، وأن محمداً رسول الله إلى الناس كافة ، وأنه رحمة للعالمين ، وأنه بشر يختلف عليه ما يختلف على بنى الإنسان من صحة ومرض ، وشبع وجوع ، ورى وظمأ ، ومسرة واكتئاب ، ولكنه معصوم عصمة الله ، فلا يصدر منه ما لا يتفق مع العصمة ، ولم يصدر منه قط لا قبلَ النبوة ولا بعدها قول أو

فعل غير متفق مع العصمة المكتوبة لكل الرسل والأنبياء .

والرسل الكبار المعروفون بأولى العزم خمسة هم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وتواريخ حياتهم غير معروفة بالدقة والتفصيل إلّا محمد ، وقبورهم مجهولة إلّا قبر محمد ، أما عيسى فقد توفاه الله ورفعه إليه .

وخير مصدر وأصدقه لسيَرهم ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ، والرسول معروف كل سيرته وتاريخ حياته بالدقة والتفصيل اللذين لم يُعرفا لبشر غير رسول الإسلام وسيرته .

وقد كان لإبراهيم صحف ، ولداود الزبور ، ولموسى التوراة ، ولعيسى الإنجيل ، ولكن إنجيل عيسى قد فقد بعد حياته ، وليس له وجود منذ عصر المسيحية الأول ، فقد ذكر رسولهم بولس فقدانه ، وتوراة موسى مفقودة ، والتوراة الموجودة إنما كتبت بعد موت موسى بثمانية قرون ، والقرن : مئة سنة ، فهو على التحقيق ليست التوراة المنزلة من الله على موسى ، وصحف إبراهيم غير موجودة وغير معروفة بعد وفاته .

والكتاب الوحيد الباقى بنصه هو القرآن الكريم ، فقد استظهره كلَّه بعضُ الصحابة فى عصر رسول الله ﷺ ، وتلقاه عنه صحابته الذين أورثوا تلقيه من عاصرهم ، وأخذ القرآن يتنقل من قبيل إلى قبيل ، بل من أمة إلى أمة بالتلقى ، فالتواتر ثابت ، وكلما جاء جيل كثر حفاظه ، وفى عالمنا اليوم مئات الآلاف من المسلمين يستظهرونه كله استظهاراً محكماً ، وما من مسلم على وجه الأرض إلَّا وهو يستظهر بعض سوره ، بل نجد من غير المسلمين من يستظهرونه .

وبلغت الدقة القصوى والعناية البالغة بنص القرآن إلى حد العامة الأميين بَلْهَ العالمين ، ولو أن قارئاً غلط فى حرف أو كلمة من سورة من السور التى يحفظها كل مسلم على وجه الأرض لرده العامة إلى الصواب .

فسورة الفاتحة يحفظها كل مسلم ، وكذلك سورة الاخلاص ، فإذا قرأ قارىء قول الله تعالى : ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ بضم الباء من «رب» أو فتحها أو بكسر اللام من «لعالمين» لرده إلى الصواب آلاف العامة الأميين .

فإذا بلغت المافظة على النص هذا المبلغ فإن مما لا ريب فيه أن يكون القرآن الكريم محروساً من قبل الله الذى وعد بحفظه ثم من قبل المسلمين جميعاً .

فالكتاب الوحيد المحفوظ الباقى بنصه المنزل من الله هو القرآ ، أما غيره من الكتب السماوية الأخرى فقد اختفت من الوجود لتخلى الأرض لكتاب الله الخالد الذى ختمت به الكتب السماوية كما ختم بمحمد رسالات السماء ، وكما ختم بالإسلام دين الله فلا كتاب بعد القرآن ، ولا نبى بعد محم ، ولا دين غير الإسلام .

والقرآن موجود بين أيدى العام ، حوى كل العقيدة الصحيحة التى لا مجال لإضافة جديدة تضاف إليها ، وحوى من الشريعة الأصول السليمة التى تصلح للإنسان فى كل زمان ومكان ، مع ترك باب الاجتهاد فتوحاً لإضافات جديدة .

فما كان رماً ممنوعاً جاء النص به واضحاً وصريحاً ، وما سوى الحرام حلا يحتاج كله إلى نص ، لأن الاستثناء هو الذ بحاجة

إلى النص .

أما محمد رسول الإسلام فكإخوته رسل الله الكرام ، يتفق معهم فى رسالة التوحيد ، ويختلف عنهم فى التشريع اختلافاً كبيراً ، فشرائع من سبقوه من الرسل كانت صالحة لأقوامهم فى تلك العصور الضيقة المحدودة ، وليست صالحة بمجموعها لغيرهم فى عصورهم وفى غير عصورهم ، ولهذا لم يُبْعَثْ رسول إلا إلى قومه دون غيرهم .

فعيسى عليه الصلاة والسلام بعث إلى قومه اليهود ، فبلَّغهم الرسالة ولم يتجاوزهم إلى غيرهم ، مع أن غير اليهود من رومان وعرب وغيرهم كانوا يقطنون معهم .

أما محمد فقد ختم الله به الرسل وختم بدينه ـ وهو الإسلام ـ كل الديانات ، كما ختم بالقرآن الذى أنزله على محمد الكتب ، فلا كتاب بعده أو معه ، ولا رسول مع محمد ولا بعده ، ولا دين مع الإسلام أو بعده ، ولن يقبل الله ديناً غير الإسلام ، ولا رسولاً غير محمد ، ولا كتاباً غير القرآن .

فرسول الإسلام محمد رسول إلى كل البشر منذ بعثته حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وبراهين عموم رسالته أنها تتكرر ، وهذا مصداق من مصادق نبوته ، وأن محمداً نفسه وجه الدعوة إلى كل البشر ، وكتاب الله ذكر فى غير موضع هذا العموم بحيث لم تقتصر الرسالة على الإنس وحدهم بل شملت الجن أيضاً ، بل جعل الله رسالة محمد رحمة للعالمين فقال : ﴿**وما أرسلناك إلّا رحمة**

للعالمين﴾[1] .

وكانت بعثة محمد ورسالته رحمة للعالمين حقاً وصدقاً ، فمن أمارات هذه الرحمة أن أمم الرسل السابقين تحدَّوْا رسلهم ، فذهبت كل أمة بعذاب ، فقوم نوح أغرقهم الطوفان ، وقوم لوط دمرهم الله تدميراً بأن جعل عالى أرضهم سافلها ، وقوم صالح أخذتهم الرجفة فكانوا فى دارهم جاثمين ، وهكذا كان غيرهم من أقوام المرسلين .

وأقوام محمد كانوا أشد ممن سبقوا عتواً واستكباراً على الحق ، فما دعا على قوم منهم كما فعل نوح إذ استنزل من الله العذاب على قومه إلّا المؤمنين ، وكلما أسرف أقوام محمد فى الكفر والعناد والتحدى اتسع لهم قلبه بالرحمة فدعا لهم بالهداية واعتذر لهم بين يدى الله بأنهم لا يعلمون .

وهذا طبيعى من نبى الهدى والرحمة ورسول الإنسانية ، لأن كل من فى الأرض من البشر أمته ، وليس بطبيعى أن يدعو عليهم فيبيد كل من أرسل إليهم ، ومحمد مدرك أن الله لم يخلق الإنس والجن إلّا لعبادته : **﴿وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون﴾**[2] فإذا لم يكن مبعثه رحمة لقضى عليهم ، وتقضى الرحمة بأن يدعو لهم بالهداية لا عليهم بالويل والثبور ، فتبقى الأرض عامرة بعباد الله .

ونخلص مما سبق أن القرآن للإنسانية عقيدة وشريعة ، ومحمد عليه الصلاة والسلام والإسلام للإنسانية عقيدة وشريعة .

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ .

فالله فى الإسلام غيره فى الديانات الوثنية وفى اليهودية وفى المسيحية ، ففى الوثنية جعلوا الله جل جلاله وثناً ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أما فى اليهودية فجعلوا الله تبارك وتعالى «يهوه» ووصفوه بصفات البشر ، يأكل ويشرب ، ويتشكل بأشكال شتى ، جعلوه يبدو فى صورة الإنسان ، وفى صورة سحابة ، وفى هيئة عمود وجعلوه يتصارع مع داود ، ومتعطشاً للدماء ، ويبتهج لرائحة الشواء ، وتعالى الله عن كل ذلك علواً كبيراً .

و «يهوه» إله اليهود إله قبلى خاص باليهود ، وهم عباده ، ويحرمون على ربهم أن يكون لغيرهم ، وربهم لا يبرّ غير أتباعه ، فهو ليس برب الناس جميعاً .

والمسيحيون يؤمنون بأسفار العهد القديم وبكل ما جاء فيها ، وأضافوا إلى إيمانهم بتلك الأسفار إيمانهم بأسفار العهد الجديد ، مع أن اليهود لا يؤمنون بها ، بل يكفرون بها وبالمسيح أشد الكفر ــ كما مر الذكر بالتفصيل فيما سبق من الصفحات ــ وأضاف المسيحيون إلى إيمانهم بالعهد القديم والجديد إيمانهم بأن عيسى إله ، فزعموا الله الأب ، والله الابن ــ ويقصدون عيسى ــ والله روح القدس ، وعبدوهم من دون الله .

والتثليث ــ كما مر الذكر ــ موجود فى كثير من الديانات الوثنية ، وفى بعضها موجود بالتقسيم المسيحى وبالأسماء الواردة فيه وصفات الثالوث سبق المسيحية ورودُها فى تلك الديانات .

فالله فى المسيحية ثلاثة ، وجعلوها ديانة مركبة معقدة ، وجعلوا

فى المسيح طبيعة الله وصفاته ، واضافوا إليه من الوثنيات صفات حتى أغرقوا فى الوثنية .

أما الله فى الإسلام فهو واحد أحد ، وليس بربٍّ أمة دون أمة ، أو عصر دون عصر ، بل هو رب العالمين ، رب الكون كله ، رب كل شىء ، كاملٌ فى صفاته وذاته ، وليس له شريك ولا ند ولا شبيه ولا زوجة ولا ولد ، لأن وجود هؤلاء يقضى على الكمال المطلق الذى تفرد به الله جلّ جلاله ، وتنزه عن النقص كله .

وقد مر بالقارىء فى هذا الفصل مفهوم «الله» فى كل الديانات ، وقد انحطوا بهذا المفهوم إلى الحضيض على تفاوت لا يقضى على إجماعهم فى هذا المفهوم الخاطىء ، وإن كانت تابعة هذا العصر المتقدم المتحضر الذى وصل إلى آفاق جدٌّ بعيدة أعظم من تبعة أولئك البدائيين .

وإذا كان عذر أولئك البدائيين الجهل المطبق الذى ورثه من جاءوا بعدهم فما عذر أبناء هذا العصر الذين لم يتقدموا خطوة عن أولئك البدائيين فى العقيدة ، بل تجاوزوهم فى الجهالة عندما أعطوا الهدى فأبوه وطعنوه .

ونقرر ونحن على ثقة واطمئنان لا حد لها أن الإسلام أصلح الديانات القائمة والمندثرة منذ كان للإنسان دين ، نعم ، الإسلام أصلح الديانات للإنسانية كلها من ناحية العقيدة التامة الكاملة المنزهة عن الشرك والوثنية .

أما من ناحية الشريعة فلا نريد أن نصدر للإسلام الحكم قبل أن نفحص شريعته ونضعها فى الميزان .

وما دمنا مؤمنين حق الإيمان بوحدانية الله وبأنه خالق الكون كله ، فإن من البديهى أن نؤمن بأن الله جل جلاله أعلم بعباده وأعلم بما هو صالح لهم وبما هو غير صالح .

وما دمنا مؤمنين بذلك فطبيعى أن نؤمن بأن ما شرع الله لعباده خير من شريعة البشر .

وكل ما كبر عقل الإنسان واتسعت آفاق علمه وثقافته ازداد إيماناً بنقصه وجهله ، وما يبلغ الغرور بإنسان إلى أن يدعى الكمال لنفسه ، فأصحاب أكبر العقول فى العالم وأعظم الناس ثقافة يعرفون أكثر من غيرهم أنهم ناقصون ومهما بلغوا من العلم فهم يعلمون أن ما علموا لا يذكر بجانب ما لم يعلموا ، فإذا فتح أمامهم باب من العلم أدركوا أن ما أغلق من أبوابه كثير .

فهذا الإنسان الكبير بعلمه ومعرفته وإدراكه وعقله ناقص ، وهو مؤمن بذلك أشد الإيمان ، وطبيعى أن يكون ما يصدر عن الناقص موصوفاً بالنقص ، واستدراك العلماء بعضهم على بعض برهان النقص الذى يعترفون به .

فإذا شرع الإنسان الناقص شرعاً كان ناقصاً ، وهذا ما نشهده فى كل شريعة يشرعها ، وتبدُّلُ الشرائع الوضعية بحسب الزمان والمكان وتقدم الإنسان وتأخره برهان على أن الناقص يلد الناقص .

فشريعة البشر التى يضعونها شريعة ناقصة ، ومنذ وضع الإنسان الشرائع وهى خاضعة للتغيير الدائم المطرد .

أما شريعة الله فكاملة ، لأن الله كامل ، وإذا كانت شريعة قوم نوح غير صالحة لقوم إبراهيم أو محمد فليس لنقص فى الشريعة التى

شرعها الله ، فإذا لم يصلح ثوب زيد لعمرو فليس سببه نقص أو عيب فى الثوب المفصل لزيد ، فهو تام بالنسبة له ، وصالح له أتم الصلاح ، لأنه مفصل على قَدِّه ، وكذلك شريعة قوم نوح صالحة لهم وحدهم ، لأنها مفصلة عليهم ، فهى تامة لهم .

فإذا جاء قوم غير قوم نوح أعطاهم الله شرعاً يسعهم ويصلح لهم ، وهكذا الأمر بالنسبة للأقوام الآخرين .

فلما أراد الله أن يبعث إلى الناس كافة رسولاً أرسل لهم معه شريعة من عنده ، ولما كان هذا الرسول الكريم آخر رسله زوده بشريعة كاملة غير قابلة فى أصولها إلى إضافة جديدة ، لأن الكامل يأبى الإضافة ، وإلّا لما كان كاملاً .

ومن أظهر الفوارق البينة بين شريعة الله وشريعة البشر أن شريعة الله هى التى تنشىء مجتمعها ، أما شريعة البشر فإن مجتمع البشر هو الذى ينشىء شريعته ، وشتان ما بينهما ، وما أعظم الفارق بين الشرعين .

فشريعة الإسلام شرعها الله ، فهى لا تتغير ، لأن من أبدعها لا يتغير ، فهى ثابتة ، وليس كل ثبات جموداً ، وثبات الشمس أو الأرض ليس بجمود ، والثبات هنا بقاء الشمس أو الأرض على حالها وطبيعتها المتجددتين .

ويدرك الإسلام أن جديداً كثيراً من الأحكام والأشياء سيجدُّ على البشرية فوضع الأصول التى لا يعتريها التغيير ، ووضع لما يجدُّ قواعد وأصولاً ، وجعل بابه الاجتهاد مفتوحاً على الدوام ، فيضع الإنسان للجديد ما يناسبه ويصلح له ، دون أن يكون هذا الجديد

الموضوع من قبل الفكر الإنسانى الطُّلعة العبقرى إضافة إلى الأصول الثابتة ، بل هو فرع يصدر عنها ، وموصول بها .

قد تحتاج المدينة إلى طريق تمهده ، فتدعو الحاجة عندما تتسع المدينة وتكبر إلى مدِّ الطريق ، وقد يكون ما يضاف إلى الطريق القديم أكثر طولاً وعرضاً ، وما يسمى هذا الجديد المضاف بديلاً عنه ولا نقصاً فيه ، لأنه مدٌّ اقتضته الحاجة ، كذلك الجديد من الأحكام .

وأصول الشريعة الإسلامية تفتح الباب لاستقبال كل جديد ، لتكون شريعته بذلك جديدة وحية على الدوام ، مُسايرة لكل زمان ، وصالحة لكل مكان .

وصلاح الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان أمر أثبته الواقع ، فقد صلُحت لحكم الحجاز وجزيرة العرب ، ولما اتسع الفتح الإسلامى ثبت صلاحها لأعظم الأقطار حضارة وعلماً وثقافة ، فقد طبقت فى مصر والشام وبيزنطة وفارس والهند والصين وأندونيسيا وأفغانستان وشمال أفريقيا وقبرص وأسبانيا تطبيقاً تاماً ، وحققت العدالة فى هذا العالم ، ورضى بها الناس ، لأن مقصد الإسلام من شريعته ضمان الأمن من كل مخافة ، والعدل فى الأحكام والمعاملات .

وعدل الإسلام غير مقصور على المسلمين وحدهم ، بل يشمل غير المسلمين ، وكل الناس فى شرعه سواء ، فيحرم الإسلام ظلم أى أحد ، يحرم أن يُظْلَم أبناء الديانات الأخرى .

يقول رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام : «**مَنْ آذى**

ذمِّياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» .

ويقول ﷺ : «**مَنْ أمَّنَ رجَلا على دمه فقتله فأنا برىء من القاتل وإن كان المقتول كافراً**» .

وهذا الوعيد موجه إلى المسلم إذا قتل غير مسلم ، فرسول الله خصم المسلم إذا آذى أى أحد من أبناء الديانات الأخرى ، ويا ويل من كان محمد خصمه فى يوم الحساب ، فإذا أمَّن مسلم كافراً ثم قتله فمحمد ﷺ برىء من هذا القاتل المسلم ، وإن جهنم مثوى مَنْ برىء منه محمد ﷺ .

وإنسانية الإسلام ليست وقفاً على المسلم وحده ، ولا على الإنسان أياً كان دينه وجنسه ولغته ووطنه وحسب ، بل اتسعت للحيوان أيضاً .

ومعروف عداء اليهود لرسول الإسلام ، ومع هذا اتسع قلبه بالرحمة حتى وسعهم ، فقد مرت به ﷺ جنازة يهودى فوقف لها ، فظن صحابته أنه لا يعلم فقالوا له : يا رسول الله ، إنها جنازة يهودى ، فأجابهم : «**أوليس نفساً**» ! .

وهذه الإنسانية نفتقدها فى جميع الديانات دون استثناء ، فما أثر عن أحد يحترم احتراماً صادقاً عدو دينه ونفسه ، ولكن الإسلام فى شخص رسوله وقف لجنازة يهودى .

بل بلغت الإنسانية فى الإسلام أعلى مرتبة فيها ، فقد كان مشركو مكة شديدى الحقد على رسول الإسلام ، وأرادوا قتله ، وحاولوا اغتياله ، ولو ظفروا به لمزقوه إرْباً إرْباً ، وقد خططوا لاغتياله وتمزيقه ، ولكن الله أنجاه .

قيل له : يا رسول الله ، ادع على المشركين ، فقال : «**إنى لم أبعث لَعّاناً ، وإنما بعثت رحمة**»[1] .

إن رسول الإسلام أبى أن يدعو على المشركين ، لأنه مبعوث رحمة لا عذاب ، والرحمة لا تطرد الرحمة ، بل تجتذبها وتنميها ، وكذلك كان .

وبلغت الرحمة فى الإسلام ورسوله أعلى ذراها عندما اتسعت للحيوان الأعجم ، فقد ذكر رسول الله محمد أن أمرأة مومساً دخلت الجنة فى كلب ، فقد رأت كلباً يلهث من العطش ، فنزعت خفها ودلّته فى البئر ونزعت به الماء وسقته ، فغفر الله لها .

وذكر رسول الإسلام فى حديث له أن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها ، لم تطعمها ولم تَدَعْها تأكل من خشاش الأرض فماتت ، فأدخلها الله النار .

بل انتهى الإسلام ورسوله إلى الذروة العليا من الإنسانية ، فقد نهى عن سب الحيوان ، وشدد النهى عن لعنه ، وزجر امرأة لعنت دابتها زجراً شديداً لأنها لعنت دابتها ، ومنعها عن ركوبها .

وقد أُثرت عن رسول الاسلام مئات الحوادث فى هذا السبيل ، ويكفى أن الله جلّ جلاله قال فى رسول الإسلام : ﴿**وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين**﴾ ويدخل فى العالمين الحيوان ، والنبات .

وأنَّى اتجه الإنسان وجد إنسانية الإسلام ، وجدها فى كل دقيق وجليل منه ، فقد ظهر الإسلام فى بيئة قائمة على العصبية

---

(١) صحيح الإمام مسلم .

والقومية ، وكان لهما مطلق السلطان ، وكان للدم والنسب أعظم شأن ، ومحمد نفسه من أعظم نسب ، وبلغ بالعرب التعصب إلى حد إطلاقه على كل أجناس البشر لفظ العجم يقابل العرب ، تقريراً منهم بهبوط غيرهم وعلوهم وحدهم .

وكان بوسع رسول الإسلام أن ينتفع بهذه العصبية فى نصر دعوته ، ولكنه لا يتخذ ما حُرِّم وسيلة إلى غايته ، لأن الغاية الشريفة تحتم أن تكون الوسيلة شريفة ، ولهذا جابه من أول دعوته العصبية والقومية ، لأن الإسلام لم يكن ديناً لقوم ، بل دين الإنسانية كلها ، وليس فيه فخر بالأنساب ، ولا مجد بالدم ، بل الفخر كله للعمل الإنسانى الصالح الذى تلخصه كلمة التقوى ، فقال الله فى محكم كتابه : ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : «**ليس لعربى على أعجمى فضل إلّا بالتقوى**» .

وارتفع العبدَّى إلى أعلى ذروة فى الإسلام بالتقوى ، وهبط السادة ذوو النسب الأرفع إلى الحضيض لبُعدهم عن التقوى ، فصعد بلال الحبشي وسلمان الفارسى وصهيب الرومي إلى مكانة عليا حتى وضعهم رسول الإسلام فى صفه فقال : «**السُّبّاق فى الإسلام أربعة : أنا سابق العرب ، وبلال سابق الحبشة ، وسلمان سابق الفرس ، وصهيب سابق الروم**» .

والمساواة فى الحقوق والواجبات مضمونة ، فلا تمييز بين الناس بسبب المال والجاه والنسب والعلم ، فالتكاليف واحدة ، والحقوق واحدة ، والتفضيل موجود ، ولكنه ليس بسبب المال ، وإنما

يفضل الغنى إذا وسع بماله الفقراء ، ودرجة أهل العلم أعلى إذا نفعوا بعلمهم .

وإذا كانت المساواة مقررة فى الإسلام فإن المفاضلة معترف بها فى رحابه ، ولا تكون إلّا بسبب الخير ، فصاحب الخير الأكثر أفضل من صاحب الخير الأقل .

والحرية حق طبيعى للإنسان ، فلا يستعبدْ أحد أحداً ، والملك والسوقة سواء فى الحرية والحقوق والواجبات ، وإن كان نصيب الملك والأعلياء من التبعة أكبر ، لأنهم أقدر على فعل الخير .

ورفع الإسلام شأن المرأة ، فهى فيه شقيقة الرجل ، والرجل شقيق المرأة ، وكرَّمها وعظمها ، فهى ترث وتورِّث ، ومن حقها أن تملك مثل الرجل ، والفروض عليهما واحدة .

وعندما نقدر صلاح الإسلام لأن يكون دين الإنسانية كلها يفزع الملايين ومئات الملايين من تحكيم الإسلام ، وبين مئات الملايين من الفزعين عشرات الملايين من المسلمين ، وسبب فزعهم أن الإسلام يحرم عليهم أموراً استطابوها وتعودوها ، فهم لا يوافقون على تحكيم الإسلام بسبب المحرمات التى أحلوها لأنفسهم . والخبائث التى استطابوها .

ومئات الملايين من غير المسلمين وعشرات الملايين من المسلمين سواء فى معارضة تحكيم الإسلام ، وسواء فى الاحتيال على القوانين الوضعية مما يدل على عدم رضاهم عنها .

وأياً كان الأمر فالدين الوحيد الصالح لأن يكون دين الإنسانية كلها هو الإسلام وحده دون سائر الأديان ، لأنه الدين الذى يحوى

أصح عقيدة على الإطلاق ، وأفضل شريعة دون استثناء ، والبراهين على ذلك كثيرة فى هذا الفصل وغيره من فصول الكتاب .

وقد صدق الله إذ قال : ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبيَّنَ الرشدُ من الغَىِّ**﴾ .

ولو ترك الإنسان لفطرته فى اختيار الدين الذى يرتضيه من بين هذه الديانات لما اختار منها إلّا الإسلام ، لأنه يحوى خير عقيدة تُنزَّه الله تنزيهاً مطلقاً ، وتعترف بوحدانيته ، وتفرده بالعبادة كلها ، وتنفى الشريك ، وتؤمن حق الإيمان به وبكتبه ورسله وبالبعث وبالقضاء خيره وشره .

وإلى جانب العقيدة يحوى خير شريعة يتساوى بين يديها كل الناس : الرسل والملوك والعلماء والسوقة ، لا تمييز لأحدٍ على أحد إلّا بالتقوى التى تحوى كل معانى الخير والصلاح .

وصرحُ الإسلام يقوم على ثلاث قواعد :

الأولى ـ الإيمان الحق بالله وجوداً ، وصرف كل أنواع العبادة له وحده ، ليس كمثله شىء ، ولا شريك له ولا ولد ولا زوجة .

﴿**قلْ هو الله أحدٌ * الله الصمدُ * لم يَلدْ ولم يُولدْ * ولم يَكنْ له كُفُواً أحدٌ**﴾ .

﴿**الله لا إله إلَّا هو الحىُّ القيُّوم لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ له ما فى السماوات وما فى الأرضِ مَنْ ذا الذى يَشْفعُ عنده إلّا بإذنه يعلمُ ما بين أيديهمْ وما خلفهم ولا يُحيطون بشىءٍ من علمه إلّا بما شاء وسعَ كرسيُّه السماواتِ والأرضَ ولا يَؤودهُ حفظُهما وهو العلى العظيم**﴾ .

الثانية : الأمر بالمعروف . والمعروف كل ما هو خير وصالح ، وهو على أربعة ضروب :

(أ) معروف فرضُ عين على كل إنسان ذكر أو أنثى ، كالصلاة والزكاة وحج بيت الله الحرام .

(ب) معروفٌ يُعْرَف بفرض الكفاية ، وهو ما يكفى القيام به من قبل طائفة من المسلمين ، فإن لم يقوموا به جميعاً ارتقى إلى فرض العين ، مثل : تعلم العلوم والحِرف والصناعات ، ويجب على المجتمع المسلم أن يتعلم كل العلوم ، فإذا خلا من علم أو مهنة أو صناعة صار وجودها فرض عين ، فإذا خلا المجتمع من علم الفيزياء كان المجتمع ناقصاً ، وإكمال هذا النقص فرض عليه ، فإذا تعلمه واحد أو أكثر سقط عن الآخرين .

(جـ) معروف يستحب عمله ، وهو دون فرض العين وإن كان بعض المستحب يدخل فى فرض الكفاية مثل إماطة الأذى عن الطريق ، والنظافة ، وتأمين مصالح الناس .

أما المستحبّ فيتمثل فى الآداب العامة مثل إفشاء السلام ، وتلبية الدعوات ، وعيادة المريض ، وزيارة الأهل والأحباب ، ومساعدة المحتاج ، وإقراض المعسر .

(د) معروف مباح لا إكراه فيه ، ومن القواعد الكلية فى شرعة الإسلام أن كل شىء مباح إلّا ما استُثْنِى حظره بنص صحيح صريح ، وهو ما جاء الشرع بتحريمه كالزنا والربا والسرقة والظلم والأذى والاحتكار .

الثالثة : النهى عن المنكر ، والمنكر كل قول أو فعل تأباه النفس

السليمة ، فمن المنكر ما هو محرم فعله وقوله تحريماً شديداً ، فمن القول : القذف وشهادة الزور والهزء والغيبة ، ومن الفعل كل ما نهى الله عنه كالمحرمات .

وهناك منكر لا يرقى إلى درجة التحريم ، وهو ما لا يتفق مع أدب اللياقة مثل ترك نظافة الجسد والملبس والمظهر ، والغلظة والفظاظة فى مخاطبة الناس ، واحترام الكبير ، والرحمة بالصغير وما أشبه هذه الخلائق من الآداب المرعية .

وهذه القواعد الثلاث تدخل فيها كل أُمور الحياة الإنسانية دون استثناء ، فما من خليقة طيبة فاضلة إلّا وشرع الله فى الإسلام يقضى بوجودها ، وما من خليقة كريهة إلّا ودين الإسلام يقضى بالتنزه عنها ، لأن المفروض فى المجتمع المسلم أن يكون مجتمعاً فاضلاً .

وليس هذا بمستحيل أو عسير ، فقد رأينا مجتمع الإسلام فى عصر رسول الإسلام وصحابته الكرام فاضلاً كريماً ، كل من فيه إخوة يحب بعضهم بعضاً وتطهّر من كل الموبقات والأحقاد تطهراً تاماً ، لم يحقد فيه المعسر على الموسر ولا الفقير على الغنى ، ولا المعدم الذى لا يجد قوت يومه على صاحب الملايين ، لأنه يعلم أن بر «المليونير» إن فاته وصل إلى غيره ، وليس فرضاً أن يسع الغنى بماله كل الفقراء ، وإنما حسب المعدم أن مئات من أمثاله نعموا بمال الغنى .

ورسول الإسلام نفسه كان يجوع وبين يديه أموال أصحابه الأثرياء ، لا يمد إليها أو إليهم يده ، بل يصبر ، ولو أخذ منهم أموالهم أو أكثره أو كله لشعروا بالسعادة ، ومع هذا كفَّ عنهم يده

ولسانه .

حتى أنه زهد فى الدنيا عن قدرة فجاع هو وأولاده وأزواجه . ورضوا .

وقد فرض على الأغنياء فى أموالهم حقاً للمحرومين والسائلين ، وقد أدَّوه على خير وجه ، وأدَّوْا أكثر منه بالهبات والصدقات ، وشاركوا بأموالهم فى تجهيز الجيوش ، وتأمين المصالح العامة ، وفك الضائقات عن الناس ، ويكفى أنهم كانوا هم والفقراء إخوة متحابين .

والمجتمع الإسلامى كامل كمال الإسلام ، وكل شىء فيه موزون بميزان القسط لا خسران فيه ولا تطفيف ، ولهذا اختفى فيه من الآفات الاجتماعية ما كان سائداً فى المجتمع الجاهلى ، اختفى منه الربا والزنا والغش والاحتكار وكل آفة كانت تجرح سلامة المجتمع الفاضل .

وطبيعى أن يكون المجتمع المسلم إسلاماً صحيحاً مجتمعاً فاضلاً ، لأنه مبنى على أسس الفضيلة والحق والخير والصلاح والجمال .

وقوامُ هذه الأسس دستور الإسلام وأُصوله وإنسانيته التى تفصح عنها هذه الأعمدة التى تعد دستور الإسلام الذى نصَّ عليه القرآن الكريم والحديث النبوى ، وهو دستور صالح لهذا العصر وكل عصر ولكل المجتمعات المتقدمة وغير المتقدمة ، وها هو ذا دستور الإسلام مقتبس من الكتاب والسنة :

● الإيمان بوجود الله ووحدانيته وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر

وبالقضاء خيره وشره ، وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

- الإيمان بأن الإسلام خاتم الأديان وناسخ ما سبقه منها .
- التحرر من عبادة أيٍّ من خلق الله الذى لا شريك له .
- الإيمان بالفرائض الدينية وأداؤها كالصّوم والصّلاة .
- الحرية حق طبيعى للإنسان ، وكذلك العلم والصحة والعمل والعيش .
- البيعة ضرورة لتكون ولاية الحاكم صحيحة بدون إكراه .
- وجوب كون الحاكم مثلاً عالياً فى الصلاح وصحة الملكات وحسن الأخلاق .
- طاعة ولى الأمر فرض ، ونازعها خارج على الأمة .
- الحاكم مقيَّد فى حكمه وسلوكه ومعاملة الناس بشرع الله .
- عزل الحاكم المجاهر بمعصية الله ، فإذا أحل حراماً صحب العزلَ تتويبُه ، فإذا أصر على إحلال الحرام صار مرتداً ، وحكمه القتل .
- لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .
- العدل أساس الحكم .
- إن الله حرم الظلم على نفسه فهو حرام على الناس فيما بينهم .
- إعلان الحرب المقدسة وإقرار السِّلم وإجراء الصلح من حق الأمة .
- الحكومة مسئولة عن كفالة الأفراد والجماعات وضمان الحريات والأمن والمعاش ، وإقامة الحدود ، وحماية المجتمع وحراسته .

● مال الإنسان وعرضه ودمه حرام ومحمى ومضمون ، ولمنزله حرمة ، ولما يملك عصمة .

● كل نشاط فى سبيل الحق والخير والعدل والإنسانية مطلق لا حجر عليه .

● تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود من حق الحاكم ونوابه وعماله ، وذلك فرض لا يمكن إسقاطه أو تعطيله ، وإذا دعا سبب لوقف التنفيذ فى الحدود لضرورة كوجود المسلمين فى ميدان حرب أو فى أرض العدو أو لشبهة من الشبهات فذلك ليس تعطيلاً ، وإنما وقف لتنفيذ رعاية للمصلحة .

● وجوب طائفة من الأمة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمسارعة فى الخيرات .

● كل مَنْ فى مجتمع الإسلام مسئول بحسب مكانته وقدرته ، فالحاكم مسئول ، والمحكوم مسئول ، والرجل مسئول ، والمرأة مسئولة .

● تحريم الاحتكار وجعل الثروة دولة بين الأغنياء ، وتحريم الربح والبيع والشراء بغير شروط الحق والعدل التى تحفظ للحلال قدسيته ، فلا غرر ولا غش ولا خداع ولا تدليس ولا رشوة ولا ربا .

● للمجتمع حق فى مال الغنى وقدرة القادر .

● الميراث حق لا يجوز حرمان صاحب حق منه .

● الملكية الخاصة حق بشرط الحق وهو أن يكون التملك صحيحاً مشروعاً .

● من حق أولياء الأمر فرض «الضرائب» لمصلحة الأمة ،

ويحرم فرضها للمصلحة الشخصية أو إلحاق الضرر .

● كل ما كان عدلاً فى ظاهره وباطنه ووسيلته وغايته وعواقبه ونتائجه فهو من الإسلام ، لأن الله عز وجلّ يأمر به وقد قال فى كتابه العزيز : ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ والعدل : كل ما كان فيه الخير والصلاح .

● الثواب والعقاب حق وواجب .

● الناس سواء فى الحقوق والواجبات والحدود والفرائض .

● لا رهبانية فى الإسلام ولا كهنوت ، فكل مسلم رجل دين .

● باب الاجتهاد مفتوح دائماً ، ومقاصد الشريعة تبيح كل جديد لم ينص عليه مادام حقاً وعدلاً ومتفقاً مع هذه المقاصد الحسنة .

هذا ملخص دستور الإسلام مصدره القرآن الكريم والسنة الغراء ، وليس بدعاً بين الدساتير التى يراد منها صلاح المجتمع وحمايته وحراسته وبناؤه على أسس القيم الرفيعة .

ومزية دستور الإسلام دون كل دساتير العالم أنه نظيف وطاهر وإنسانى فى ظاهره وباطنه ، وما يستطيع أحد أن يشكّ فى صلاحه لكل مجتمع فى كلِّ عصر ، فكل هذه المبادىء بلغت فى الإنسانية والكمال المرتبة التى لا يصل إليها غيرها .

وليس من المستطاع إضافة أى جديد إلى نصوص دستور الإسلام التى جاءت فى الكتاب والسنة .

وهذا ينتقل بنا إلى تقرير حقيقة أخرى وهى أنه ليس فى المستطاع إضافة جديد إلى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام سواء

فى مجال العقيدة أم فى مجال الشريعة .

ومن هنا يثبت أن رسالة محمد خاتمة الرسالات ، وأن محمداً خاتم الرسل جميعاً ، وأن الإسلام خاتم الأديان .

وما دام الإسلام ديناً كاملاً عقيدة وشريعة فالكمال يقتضى أن يكون الختام لا يعقبه ما هو خير منه ، لأنه لا وجود لخير من الكامل ، ولا مثله لأنه تكرار لا حاجة إليه ، ولا أقل منه ، لأن الناقص حينئذٍ يكون عبثاً ، وتعالى الله عن العبث .

ومادام كمال الإسلام أمراً واقعاً مشهوداً فمن البديهى أنه لا يمكن الاستدراك عليه أو إضافة جديد إلى أصوله ، أما الفروع فلا حجر فى الإسلام على الوضع والإضافة من قبل المجتهدين الصالحين المتبحّرين فى العلم الموصوفين بالنزاهة والعدالة والتدين والصلاح الذين هم صفوة الأمة .

وترك الإسلام باب الاجتهاد مفتوحاً وأبواب الفروع مفتحة لأنه مدرك أن التقدم البشرى يقضى بذلك ، ولا تثريب ولا ضير على الأصول أن تنبت منه فروع جديدة .

ومن تمام بحثنا ختمه ببعض الآيات والأحاديث التى تثبت للإسلام إنسانيته الخالدة التى نفتقدها فى جميع الأديان ومن هذه الآيات قول الله تبارك وتعالى :

﴿وقضى ربُّك ألا تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبْلغنَّ عندك الكبرَ أحدهما أو كلاهما فلا تقلْ لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذلِّ من الرحمة وقلْ ربِّ ارحمهما كما ربيانى صغيراً * ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين

فإنه كان للأوّابين غفوراً * وآتِ ذا القربى حقَّه والمسكين وابنَ السبيل ولا تبذِّر تبذيراً * إنَّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً * وإما تُعرِضنَّ عنهم ابتغاء رحمة من ربِّك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً * ولا تجعلْ يدك مغلولة إلى عنقكَ ولا تبسطها كل البسطِ فتقعد ملوماً محسوزاً * إنَّ ربَّك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً * ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إنّ قتلهم كان خطئًا كبيراً * ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا * ولا تقتلوا النفس التى حرَّم الله إلّا بالحق ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليِّه سلطاناً فلا يُسرفْ فى القتل إنه كان منصوراً * ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتى هى أحسن حتى يبلغَ أشدَّه وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً * وأوفوا الكيل إذا كِلْتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً * ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السَّمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً * ولا تمشِ فى الأرض مَرَحاً إنَّك لن تخرِق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً * كلُّ ذلك كان سيئُه عند ربك مكروهاً * ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً﴾[1] .

وأما الأحاديث التى تكلم بها رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام فهذه طائفة منها :

«مثل المؤمن كمثل النحلة إن أكلت أكلت طيباً وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن وقعت على عود نَخِرٍ لم تكسره» .

---

(١) سورة الإسراء : ٢٣ ـ ٣٩ .

و «ليس المؤمن بالطعّان ولا الفاحش ولا البذيء» .
و «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس» .
و «رأس العقل بعد الإيمان بالله الحياءُ وحسنُ الخلق» .
و «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسنْ إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» .
و «مثل المؤمن مثل السبيكة الذهب ، إن نفخت عليها احمرّت ، وإن وُزِنتْ لم تنقص» .
و «ملعونٌ من ضارّ مؤمناً أو مكرَ به» .
و «من أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن» .
و «مِنْ سعادة المرء حسن الخلق ، ومن شقاوته سوء الخلق» .
و «مَنْ آذى مسلماً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله» .
و «منْ آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومَنْ كنت خصمه خصمتُه يوم القيامة» .
و «من أمَّن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافراً» .
و «من أتاه أخوه متنصِّلاً فليقبل ذلك منه محقاً أو مبطلاً ، فإن لم يفعل لم يَرِدْ عليّ الحوض» .
و «مَنْ أخاف مؤمناً كان حقاً على الله ألا يؤمّنه من إفزاع يوم القيامة» .
و «مَنْ أرضى سلطاناً بما يسخط الله خرج من دين الله» .
و «مَنْ بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه» .

و «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحدَّ أحدكم شفرته ، وليُرِحْ ذبيحته**» .

و «**دَخلتْ امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدَعْها تأكل من خَشاش الأرض**» .

و «**غُفِر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس رَكيٍّ يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغُفِر لها بذلك**» .

و «**أيها الناس ، ألا إن ربكم لَواحدٌ ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلّا بالتقوى**» .

هذه الآيات والأحاديث توجز الإسلام عقيدة وشريعة وآداباً وسلوكاً واجتماعاً ، وما من إنسان سليم الفطرة أياً كان دينه وجنسه إلّا وهو يقرر معنا أن الدين الذى يحوى كل ذلك هو دين الإنسانية ، وأن المجتمع الذى يبنيه هذا الدين هو المجتمع الأفضل الأمثل دون مراء أو خلاف .

وليس هذا المجتمع حلماً يطيف بالذهن أو طوبى من طوبيات الخيال ، فقد عرف العالم فى عهد رسول الإسلام وصحابته الكرام هذا المجتمع .

وما دام الواقع قد أثبت وجوده بحيث تم تطبيق المثال على الواقع ، والواجب على الممكن فقد صار الخيال واقعاً عاشه الملايين ، وما يزال يعيشه أفراد من البشر فى عصرنا الذى تيسرت

فيه أسباب التحقيق والتطبيق والإمكان إذا اتُّبع الإسلام حق الاتباع .

٦ـ الخراج والشرائع

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) .

٧ـ أريد أن أرى الله (مجموعة قصص) .

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) .

الطبعة الثانية ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٨ـ المقالات .

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) .

٩ـ الهجرة (مسرحية)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) .

الطبعة الثانية (ضمن مجموعة بحوث تحت عنوان الهجرة) بيروت ، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

١٠ـ صقر الجزيرة ، ٣ أجزاء .

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م) .

الطبعة الثانية ـ جدة ، سنة ١٣٨٥هـ (١٩٥٦م) .

الطبعة الثالثة (ثلاثة أجزاء في مجلد واحد) جدة ، سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) .

١١ـ البيان (نقد أدبي)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) .

١٢ـ الزنابق الحمر (مسرحية لطاغور ، مترجمة عن البنغالية)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م) .

١٣ـ المقدمة (دراسة لمعجم صحاح الامام الجوهري)

الطبعة الأولى (كتبت مقدمة لمعجم «تهذيب الصحاح» للزنجاني) القاهرة ، سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) .

الطبعة الثانية ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) .

كتب للمؤلف

(أ) كتب نفدت

١ ـ كتابي (مجموعات مقالات)

طبع بمطبعة أم القرى بمكة المكرمة ـ حرسها الله ـ سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٤م)

٢ ـ محمد بن عبد الوهاب

الطبعة الأولى ، القاهرة ، سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) .

الطبعة الثانية ، القاهرة ، سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) .

الطبعة الثالثة ، بيروت ، سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) .

٣ ـ محمد بن عبد الوهاب (كتاب جديد غير السابق) .

الطبعة الأولى ، بيروت ، ٣ ذي الحجة ١٣٩١هـ (٨يناير ١٩٧٢م) .

الطبعة الثانية ، بيروت ، ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١ (٤ فبراير ١٩٧٢م) .

الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٠ محرم ١٣٩٢هـ (٢٤ برابر ١٩٧٢م) .

الطبعة الرابعة ، بيروت ، ٥ رجب ١٣٩٢هـ (٤ أغسطس ١٩٧٢م) .

الطبعة الخامسة ، بيروت ، سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .

٤ ـ محمد بن عبد الوهاب

(باللغة الأردية ، ترجمة العلامة الشيخ محمد صادق خليل)

الطبعة الأولى ـ لاهور (باكستان) ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) .

٥ ـ الهوى والشباب (ديوان شعر)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٧م) .

١٤ ـ قطرة من يراع

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) .

١٥ ـ الصحاح ومدارس المعجمات العربية

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) .

الطبعة الثانية (صدرت مع المعجم الصحاح للجوهرى تحت عنوان : «مقدمة الصحاح» (فى جزء مستقل) القاهرة ، سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) .

الطبعة الثالثة ـ بيروت ، سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) .

الطبعة الرابعة ـ مع معجم الصحاح للجوهرى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

١٦ ـ مقصورة ابن دريد (بحث تاريخى أدبى)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) .

١٧ ـ الاسلام والشيوعية

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٦م) .

الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) بيروت ، سنة ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) .

١٨ ـ حرب الأكاذيب

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) .

الطبعة الثانية ، نشرت بجريدة «عكاظ» الطائف ، سنة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م .

الطبعة الثالثة ، نشرت فى الطبعة الثانية من كتاب «الاسلام والشيوعية» ، بيروت ، سنة ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) .

١٩ ـ الفصحى والعامية

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م) .

٢٠ ـ عشرون يوماً فى الصين الوطنية

الطبعة الأولى ـ تأيبية (الصين الوطنية) سنة .

٢١ ـ الشريعة لا القانون

الطبعة الأولى ـ جدة ، سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .

٢٢ ـ الاسلام طريقنا إلى الحياة

الطبعة الأولى ـ جدة ، سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .

٢٣ ـ آراء فى اللغة

الطبعة الأولى ـ جدة ، سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .

٢٤ ـ كلام فى الأدب

الطبعة الأولى ـ جدة ، سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .

٢٥ ـ المفتش (مسرحية لنقولا جوجول)

الطبعة الأولى ـ دمشق ، سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) .

الطبعة الثانية ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٢٦ ـ الزحف على لغة القرآن

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م) .

٢٧ ـ الاسلام خاتم الأديان

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٨٦هـ (.

٢٨ ـ إنسانية الاسلام

الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) .

٢٩ ـ اليهودية والصهيونية

الطبعة الأولى ، بيروت ،

٣٠ ـ صقر الجزيرة ٧ أجزاء (وهو الكتاب السابق) .

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) .

٣١ـ ابن سعود وقضية فلسطين

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٩٧٤م) .

٣٢ـ الشيوعية وليدة الصهيونية

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤) .

٣٣ـ الماسونية

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .

٣٤ـ عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين . والهيكل لم يكن مقدساً عند سليمان واليهود .

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .

٣٥ـ حجة النبي ﷺ

الطبعة الأولى ـ سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) .

٣٦ـ مؤامرة الصهيونية على العالم

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) .

الطبعة الثانية (خاصة بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية ـ بيروت .

١٣٩١هـ (١٩٧٢م) .

الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٣٧ـ بروتوكولات صهيون (مترجم)

الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) .

الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

(ب) كتب محققة نفدت

٣٨ـ تهذيب الصحاح (معجم لغوى ، تأليف الامام الزنجانى) ٣ أجزاء .

بالاشتراك مع الأستاذ عبد السلام هارون

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) .

٣٩ ـ مقدمة تهذيب اللغة ، للإمام الأزهري

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) .

٤٠ ـ ليس فى كلام العرب ، للإمام ابن خالوية

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) .

٤١ ـ آداب المتعلمين ورسائل أخرى فى التربية الاسلامية ، لابن خلدون وغيره .

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٦م) .

الطبعة الثانية ـ بيروت ، سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

٤٢ ـ الصحاح ، للامام الجوهرى ٧ أجزاء (منها المقدمة)

الطبعة الأولى ـ القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) .

الطبعة الثانية ـ بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

(جـ) كتب مترجمة للمؤلف ، طبعت حديثاً

٤٣ ـ محمد بن عبد الوهاب ، باللغة الانكليزية .

ترجمة الدكتور راشد البراوى .

الطبعة الأولى ـ مكة المكرمة ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)

٤٤ ـ محمد بن عبد الوهاب ، باللغة الأردية .

ترجمة الشيخ محمد خليل صادق ، الطبعة الثانية ـ مكة المكرمة ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٤٥ ـ إنسانية الاسلام ، باللغة الانكليزية

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

(د) كتب صدرت حديثاً

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٤٦ ـ الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم

الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) .

٤٧ ـ أحكام الحج والعمرة من حجة النبي وعمراته

الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

٤٨ ـ الحجاب والسفور

الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٤٩ ـ وفاء الفقه الاسلامي بحاجات هذا العصر وكل عصر .

الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)

٥٠ ـ وفاء اللغة العربية بحاجات هذا العصر وكل عصر .

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥١ ـ دفاع عن الفصحى

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)

٥٢ ـ الهجرة

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٣ ـ الهجرة (مسرحية)

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٤ ـ جحا يستقبل نفسه

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)

٥٥ ـ ويلك آمن (نقد لبعض آراء الشيخ ناصر الدين الألباني)

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٦ ـ شرح مقصورة ابن دريد ، لابن هشام اللخمى . (تحقيق)
الطبعة الأولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ . (١٩٨٠م)

٥٧ ـ الشيوعية والإسلام
الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ . (١٩٨٠م) .

٥٨ ـ اليهودية والصهيونية
الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ . (١٩٨٠م .

٥٩ ـ الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات
الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

٦٠ ـ الاسلام دين خاص أم عام
الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

٦١ ـ انحسار تطبيق الشريعة فى أقطار العروبة والاسلام
الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

٦٢ ـ الجوهرى
الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ . (١٩٨٠م) .

٦٣ ـ أصلح الأديان للبشرية عقيدة وشريعة
الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ .

٦٤ ـ عروبة فلسطين والقدس
الطبعة الثانية ـ مزيدة ومحققة ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ . (١٩٨٠م) .

٦٥ ـ إنسانية الاسلام
طبعة ثانية ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ . (١٩٨٠م .)

٦٦ ـ ليس فى كلام العرب
الطبعة الثانية مزيدة ومحققة ومفهرسة ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ . (١٩٨٠)

٦٧ ـ الديانات والعقائد فى مختلف العصور
أربعة أجزاء فى أربعة مجلدات .

الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٠هـ . (١٩٨٠م)

٦٨ ـ بين السجن والمنفى

الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠١هـ (١٩٨١م)

(هـ) كتب أعيد طبعها

١ ـ حجة النبي ﷺ

الطبعة الثانية ـ دمشق ، سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) .

٢ ـ صقر الجزيرة ٧ أجزاء .

الطبعة الثانية ـ بيروت ، سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م)

٣ ـ محمد بن عبد الوهاب

الطبعة الخامسة ، بيروت ، سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

الطبعة السادسة ، بيروت ، سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

الطبعة السابعة ، بيروت ، سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧) .

(و) كتب معدَّة للطبع

١ ـ المكتبات

٢ ـ فيصل

٣ ـ مئة كلمة

٤ ـ لا أؤمن بالاشتراكية لأنى أؤمن بالاسلام

٥ ـ مع الكتب والمؤلفين

٦ ـ الأسرة .

٧ ـ نقد كتاب «كشف الظنون»

٨ ـ مذكرات لارا

٩ ـ قال بيدبا

١٠ ـ خمس دقائق قبل الفطور

١١ ـ وراء القضبان
١٢ ـ ورود من الكلام
١٣ ـ العقاد
١٤ ـ مسلمة فى سيبريا
١٥ ـ مع الملوك والرؤساء
١٦ ـ الأدب الضاحك
١٧ ـ الرحلات
١٨ ـ عائشة أم المؤمنين
١٩ ـ فى اللغة

(ز) كتب محققة للطبع

٢٠ ـ الأزمنة ، لقطرب .
٢١ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه ، لأبى العميثل .
٢٢ ـ كشف الظنون ، لحاجى خليفة .
٢٣ ـ مجموعة المعانى (مختارات شعرية) طبعة الجوائب .

الفهـــرس

صدر من هذه السلسلة

	الكتاب	المؤلف
١	تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢	الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣	الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
٤	الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥	وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦	السيرة النبوية فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧	التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨	صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩	النوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠	الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١	لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢	السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣	مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤	دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥	تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦	البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧	حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨	القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته[١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩	القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠	المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١	الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢	حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]

المؤلف	الكتاب
[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]	٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا
[الدكتور عدنان محمد وزان]	٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر
[معالى عبد الحميد حموده]	٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة
[الدكتور محمد محمود عمارة]	٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام
[الدكتور محمد شوقى الفنجرى]	٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى
[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]	٢٨ ـ وحى الله
[حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]	٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن
[الأستاذ محمد عمر القصار]	٣٠ ـ المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]
[الدكتور السيد رزق الطويل]	٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج
[الأستاذ حامد عبد الواحد]	٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى
[عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى]	٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط
[الدكتور حسن الشرقاوى]	٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى
[الدكتور محمد الصادق عفيفى]	٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية
[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]	٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية
[الدكتور محمود محمد بابللى]	٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها
[الدكتور على محمد نصر]	٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث
[الدكتور محمد رفعت العوضى]	٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين
[د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر]	٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام
[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]	٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا
[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]	٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا
[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]	٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين

الكتاب	المؤلف
٤٥ ـ الطريق إلى النصر	[الأستاذ محمد عبد الله فوده]
٤٦ ـ الإسلام دعوة حق	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٤٧ ـ الإسلام والنظر فى آيات الله الكونة	[الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى]
٤٨ ـ دحض مفتريات	د . البدراوى عبد الوهاب زهران]
٤٩ ـ المجاهدون فى فطانى	[الأستاذ محمد ضياء شهاب]
٥٠ معجزة خلق الإنسان	[د . عبد الرحمن عثمان]
٥١ ـ مفهوم القيادة فى إطار العقيدة الإسلامية	[الدكتور سيد عبدالحميد مرسى]
٥٢ ـ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى والماركسى	[أنور الجندى]
٥٣ ـ الشورى سلوك والتزام	[د . محمد أحمد البابلى]
٥٤ ـ الصبر فى ضوء الكتاب والسنة	[أسماء عمر فدعق]
٥٥ ـ مدخل إلى تحصين الأمة	[د . أحمد محمد الخراط]
٥٦ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٥٧ ـ كيف تكون خطيباً	[الشيخ عبد الرحمن خلف]
٥٨ ـ الزواج بغير المسلمين	[الشيخ حسن خالد]
٥٩ ـ نظرات فى قصص القرآن	[محمد قطب عبدالعال]
٦٠ ـ اللسان العربى والاسلامى معاً فى مواجهة التحديات	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٦١ ـ بين علم آدم والعلم الحديث	[الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى]
٦٢ ـ المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٦٣ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين ٢	[د . رفعت اعوضى]
٦٤ ـ تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	[الستاذ عبدالرحمن حسن حبنكه]
٦٥ ـ لماذا وكيف أسلمت	[الأستاذ أحمد سامى عبد الله]

طبع بمطابع رابطة العالم الاسلامي ـ مكة المكرمة